دريك تاون

دريك تاون

رواية

كيرلس عفت

تصميم الغلاف: محمد محسن

رقم الإيداع: 2020/2005

I.S.B.N:978- 977-6640-71-9

الطبعة الأولى2020م

الإدارة: 17 ش عزت باشا المطرية، القاهرة.

المدير العام: آية سعد الدين

مدير النشر : د. رامي عبد الباقي

هاتف: 01099387500 - 01147633268

E – mail:zeinpublish2017@gmail.com
Facebook: Zein Publish

جميع الحقوق محفوظة©

كيرلس عفت

دريك تاون

رواية

إهداء إلى

كل الأحداث المؤلمة التي بدورها صنعت نضجنا ووعينا الذي نحن عليه الآن وللأشخاص الذين ذهبوا وتركوا إثرهم فراغات لا يستطيع أن يملأها الزمن..

ومن علمتني كيف أمسك قلما وأكتب سطرا وودعت هذا العالم باكرا تاركة إياي في رحلة بحثي عن ذاتي..

وأيضا هؤلاء الذين شجعونا لاستكمال سعينا والوصول لنقطة مهمة فارقة..

إليكم يا أصدقائي الأعزاء،،

كل واحد باسمه وكل واحدة باسمها...

....

دائما ما تواجهنا المخاوف ويدركنا الفشل في مرحلة ما من حياتنا، نشعر وأن حياتنا قد أوشكت على الانتهاء ويصيب الذبول أنفسنا، نتمنى أن تنتهي بنا الحياة، لا نعلم أن ما يحدث لنا يثقل أنفسنا، ما علينا سوى الانتظار واكتشاف أنفسنا المندثرة تحت حطام الفشل وتجميع أشلاء روحنا المبعثرة ومعرفة قوتنا الحقيقية التي ستغير مجرى حياتنا، ونتيقن أن هذه المعركة التي نخوض غمارها في نهايتها انتصار سيأتي لا محالة، انتصار سنتغنى به طالما حيينا...

رحيل الأحبة

القاهرة.. مدينة نصر

قبل مطاردة الأحلام ليامن ببضعة سنوات..

الليلة الأخيرة لأداء واجب العزاء التي احتشد به الكثيرون لمواساة يامن وعائلته، حيث اتخذ يامن مقعدًا بجانب والده داخل القاعة التي بدأ حشدها في الانفضاض، هذه الساعات الأخيرة من الليل حين بدأ الجو يسيطر عليه الهدوء ليستقر يامن على مقعده فاغرًا فمه، شاخصًا ببصره على صورة داخل برواز وُضع على جانب الصورة من الأعلى شريطة سوداء.

يحدث يامن نفسه ولا يزيح بصره عن الصورة:

آآه يا والدتي لو علموا بحالي لأسفوا عليّ، يظنون أني فارها من الداخل، مرفه منزه عن التعقيدات الملحة المهترئة داخل الصدور، تعتلي عرش العقول، تنضح سمومها في الأوردة والشرايين، يجهلون أنني لن أقوى على مداهمة أمواج الحزن التي بدأت تداهمني لاحقًا وستجتاح كياني تقرضه، لتنهيه بأسى بالغ.

. رحم الله والدتك يا عزيزي لقد كانت سيده ذات شأن رفيع المستوى يجلها الأهل والأصدقاء وكل من عمل معها أو حظي بفرصة اللقاء بها.

كانت هذه كلمات والده التي أسدل بها ستار هذا اليوم الشاحب الممتلئ بالحزن في محاوله منه لمواساة ابنه الوحيد الذي واضح عليه التأثر الشديد بوفاة والدته ليشتت انتباهه، يلتفت إليه يحثه على ضرورة الرحيل والعودة إلى المنزل.

أحب والدته كثيرًا وتعلق قلبه بها فقد كانت سببًا مهمًا من أسباب نجاحه والتحاقه بالبحرية ليحقق حلمه الذي راوده منذ ما كان فتي يصنع المراكب الورقية ليضعها في حوض أسماك الزينة بمنزلهم ليلتحق بالعمل في أحد الصروح التجارية العملاقة بعد تخرجه مباشرة.

لطالما حلم بامرأة مثلها تعينه على ابتلاءات الحياة وتقلباتها.

فراقها يقينا سيكون صعبًا ولكن معاناتها كانت أشد صعوبة من جراء هذا المرض اللعين الذي فتك بها كالسيل الذي يسقط على جبل راسخ فيذيبه وأنت تقف مندهشًا من قوة هذا السيل وضعف الجبل العنيد أمامه.

عانى خلال فترة مرضها يتقاسم معها الألم بالحزن الدفين الذي أصابه هاربًا من المنزل في الكثير من الأوقات كي لا يراها طريحة الفراش تنساق بضعفها المتزامن مع حدة مرضها إلى حتفها.

أراد دائمًا أن يرسم السعادة على وجهها الأموي لترى أولادًا من صلبه تداعبهم بين أحضانها الدافئة ليكبروا بينهم كما فعلت معه.

. أشهر من المرض عجاف ظل فيهم خائفًا من هذا اليوم الكارثي.

استمر في حزنه الذي طال لمده أيام لا يستطيع أن يتذكرها أو يعلم مقدارها حبيسًا لمنزلهم بعد وفاتها لا يريد رؤية أحد.

حتى سمع صوت شخص يقرع باب غرفته بشده..

مما أضطره أخيرًا للذهاب ناحية باب غرفته ليضيء أنوار غرفته التي ظلت مظلمة طوال فترة اعتكافه بها لتؤلمه هذه الأنوار التي اعتاد على غيابها مكتفيًا بأضواء هاتفه المتواجد عليه صورة والدته يفتحها من حين لآخر ليسهب في البكاء ثم يغلقه ليغط في نوم عميق، وصل نحو المفتاح الذي أداره في حركه دائرية بداخل قلب الباب ممسكًا بالمقبض فاتحًا لهذا المتطفل الذي قطع عليه عزلته.

إنها ياسمين الفتاة التي تقدم لخطبتها وزوجته المستقبلية فاتحا الباب لها بلا مبالاة ليعود ساكنا في مكانه.. الأمر الذي أثار استفزازها لتنتهره دون أن تتقدم خطوه للأمام نحوه مكتفيه بالنظر إلى هيئته التعيسة وذقنه الطويلة بازدراء.

. إلى متى ستظل هكذا.. هذا لن يفلح في إصلاح الأمور.. كل شيء سيزداد سوءًا ليس إلا.

لم ينبس يامن ببنت شفه وكأنه وحيد في الغرفة والظلام ما زال يحاوطه غير مكترث بكلامها التي وجهته له، لتتقدم نحوه بضع خطوات لتلقي بجانبه مظروفًا قد فُتح سابقًا لتخبره بضرورة قراءته.. لتشيح بنظرها بعيدًا وترحل مستشيطة غضبا.

لم يهتم يامن للوهلة الأولي بأمر هذا المظروف حتى تملكه الفضول أخيرًا لقراءته ليمسكه بأيدي مرتعشة يستكشف سطوره التي كتبت بالإنجليزية

.Sailor: Yamen Alkady

...'Our Greetings

We know that you are facing a horrible problem, all of us .are sorry for you

.Waiting your return back in 3 days

.Grand Ship Company

محتواها حاد وقاطع يريدون منه العودة بعد ثلاثة أيام لعمله مره أخرى، لم يبال كثيرًا بالمهلة التي أعطوه إياها أو بالأحرى لم يفهم ما المطلوب منه فعله، لقد كان غائبا عن الوعي.

طوي الورقة ليعيدها بداخل المظروف مره أخرى ليضعها أسفل وسادته، مطفئ أنوار غرفته ليضع رأسه على وسادته المبللة بالدموع التي يذرفها يهيم النظر في أرجاء الغرفة، لا عزاء له ولا يعلم أين هو بالتحديد الآن.

صباح اليوم التالي..

أرادت ياسمين رؤية يامن متصلة بوالده الذي أقنعه بالذهاب لرؤيتها في المكان الذي اعتادا الجلوس به.

نزل يامن لرؤيتها، طال انتظارها له حتى وصل ليبدأ النقاش الذي احتدا فيه على بعضهما موجهة الاتهامات الموجعة غير المتوقع سماعها من ياسمين محبوبته.

. لقد تجاهلتني كثيرا، أنت لا تحبني من الأساس.. عائلتي لا يريدون استكمال علاقتنا أو عودتنا للحديث سويا بعد الآن، لتنتفض من مقعدها مستعدة للرحيل.

أمسك بيدها التي تعتليها خاتم خطبته لتهدأ قليلًا ويجدا طريقة يسوي بها الأمور معها ولكنها أومأت بالرفض:

. رجاء أتركني وشأني.. سوف أرسل لك جميع متعلقاتك التي جلبتها.

أمسكت خاتم خطبته بأصابعها المتوترة لينسل من إصبعها البنصر.. لتفتح راحته وتضعه بداخلها وترحل إلى الأبد.

هذا الخاتم الذي ربطهما سويًا الفترة المنصرمة وكان سينتقل بعد أشهر لاحقه ليستقر في يدها اليسرى لتكون مدام يامن ولكن توتر العلاقة منذ مرض والدته والحالة النفسية السيئة التي مر بها أفسدت كل ما خطط لأجله.

لم يأسف لرحيلها، لقد اعتاد على الألم الذي أصبح رفيقه منذ أشهر.

عمله على وشك الضياع، فقدانه لوالدته، خذلانه من الفتاة التي أحبها.

أقنعه والده بترك الأمور تهدأ فيما بينهم ليعاود الاتصال بها لاحقًا حتى تعود إلى رشدها ويتمكن من تسوية الخصام المحتدم الواصل إلى ذروته الآن، مؤكدا ضرورة العودة لعمله ليضعه مره أخرى على الدرب السليم ليحزم أغراضه ويسافر إلى مقر الشركة في اليوم الأخير من المهلة المعطاة له لاتخاذ الإجراءات اللازمة للعودة إلى عمله، لتبدأ الأمور في الاستقرار مره أخرى.

بعد العودة لممارسة مهام عمله البحرية بوقت ليس بطويل رأى بضرورة إعادة التواصل مع ياسمين ليقدم الاعتذار اللائق عما بدر منه، فهو لم يفعل هذا بملء إرادته بل الظروف العصيبة التي مر بها كانت مسمارًا يُدق في نعش علاقتهم التي اضطربت في وقت سابق.

أخرج هاتفه ليحاول الاتصال بها، يطمئن نفسه بأن الأمور ستصبح على ما يرام، لتدق أجراس فؤاده مع رنات الهاتف.

ليجيبه صوت آخر غير صوتها فهو لا يجهل صوتها، لقد كانا يتكلمان كثيرا، يعلم ما يدور بداخلها بمجرد سماع صوتها، يحبه كما أحبها.

إنها نورة أختها الصغرى التي أجابته.

. مرحبا نورة

. يامن...

. نعم يامن.. بدا صوتها غير مريح له هذه المرة، نورة الصغيرة التي أوصلها بسيارته مرات عديدة إلى جامعتها، تخبئ شيئا ما في جعبتها.

. يامن أنت تعلم أنني دائما ما اعتبرتك أخي الأكبر ولكن يجب أن تعي شيئا في غاية الأهمية، اليوم حفل زفاف ياسمين ونحن لا نريد إزعاجها لذا قمت أنا بالرد على اتصالك الهاتفي.. إن كنت لا تزال تحبها دعها تصبح سعيدة في حياتها الجديدة المقبلة عليها.

ثم أنهت المكالمة المحاطة بالزغاريد، لتتركه في حالة يرثى لها..

ماض سعيد تحول إلى رماد منطفئ يتبعثر في كل الأنحاء لينكسر قلبه بلا هوادة، مستقبل قاس لم يتوقعه أو يخطط للوصول إليه، شاه أصابها الذئب بمخالبه الدامية إصابة قاتلة ليدعها تزرف الدماء أمام أعينه المفترسة قبل أن ينقض عليها بأنيابه.

ماذا فعلت يا هذا حتى تتلقي مثل هذه الصفعات تباعًا!

سقط يامن على الأرض واستدعى أصدقاؤه أحد الأطباء الذي شخص ما حدث له بأنها نوبة عنيفة تحتاج إلى الراحة والبعد عن أي

شيء يدعى إلى إثارته أو مضايقته وكتب له بعض الأدوية المهدئة للأعصاب حتى تتحسن حالته النفسية السيئة.

داوم يامن على هذه الأدوية لمدة لم تجد هذه الأدوية خلالها في معالجته أو تهدئة النوبات التي كانت تختلجه وتغير سلوكه وأصبح شخصا مختلفا عن السابق، حتى حان موعد السفر إلى باريس حيث سيحضر افتتاح معرض صديقه الرسام سامي، صديق الصبا ورفيق الأمس وقبل أن تطارده الأحلام التي ستؤرق أجفانه وتزيد من صعوبات حياته.

2

الحلم

أقع بداخل سواد عظيم يبتلع جسدي ليدفعني من هوة تلو أخرى تلو أخرى أيضا، أسقط آلاف المرات.. داخل دوامات لا حصر لها، فراغات تتقاذفني كالدمية بين أصابع فتى مستهتر.. رحالة يجوب العالم أجمع ولكن ليس بملء إرادته بل قسرًا وإجبارا..

أتوارى خلف شجرة تشبه شجرة التوت ولكن لها أفرع أكبر قليلًا وجذع أكثر سمكا.. تقابل قصرا فخما للغاية يخص عائلة ملكية في عصر ما ومكان مجهول.. لا أعلم ماهيته تحديدا!.

يناديني في أحلامي ليصحبني معه.. أينما حل، لقد أصاب عقلي بالعتّه في الآونة الأخيرة..

أحلام متفرقة مبعثرة، لا أعلم فحواها!..

لا أعلم لماذا أتوارى؟

أو خوف يعتليني بسبب من؟..

لا أستطيع أن أشعر إلا بخطر داهم سيباغتني..

أتلفت حولي في كل اتجاه تقع عليه عيني.

ها هو..

أستطيع رؤيته الآن..

خارجين به من القصر.. مكبل بالأغلال، ينساق بفعل أيدي الحراس الذين اتخذوا الليل ساترا لمبتغاهم.. ينفذون ما أمرهم به سيدهم.

فتي طويل القامة، هيئته تنم عن قوة بدنية مفرطة، شعره يتدلى على وجهه.. الذي يتصبب عرقا، لم يمهلوه الفرصة حتى يلبس الثياب بل بالكاد استطاع أن يستر عورته..

رائحة بخور طيبة تلوح في الأفق.

ارتدى الجميع أقنعتهم!

اقترب أحد الحراس ليسنح للفتى بشم هذه الرائحة العطرة مع إمساك الباقين للفتى وتشبثهم الجيد.. خوفًا من أي حركة طارئة تصدر منه..

ترتخي أعصابه وتلين عضلاته شديدة البروز.

ثم امتطوا أحصنتهم واصطحبوا الشاب بعد ما فقد وعيه بمجرد أن استنشق هذه الرائحة الذكية.

يركضون بأحصنتهم في طرقات مظلمة، أحاول مجاراتهم.. فألحق بهم وسط الضباب الذي يهيمن على الأعين..

أجري سريعا ولكني لا أستطيع أن أحذو حذوهم..

اضطررت للوقوف كي ألتقط أنفاسي..

جسده المرتخي على صهوة أحد الأحصنة بدأ في التواري..

مهلًا هناك خطب ما!

أنه قد نظر إلي قبل أن يتوارى جسده، هناك سحر ما في عينيه، سحر يطاردني في جميع أحلامي التي تطاردني في كل ليلة.

اقشعر بدني، دب في جميع أوصالي الاضطراب.. أقدامي لم يعد بإمكانها التحلي برباطة جأشها.. أتمايل كطفل صغير يعلمه أبواه المشي لأول مرة منذ قدومه إلى الحياة.. رأسي تغلي غليان البركان الثائر.

لقد رمقني بنظرة مخيفة، عينه تتوهج وتومض.. كاللهيب الحارق.. لهيب شمس الظهيرة الحامية في ذروتها بالسماء.. في أشد الأيام حدة والتهابا.. لقد انطلقت نظرته لتصيب فؤادي.. أشعر بلهب فؤادي يتأجج في صدري، وظلت علامات الإعياء السابقة في الازدياد تباعا..

هلاوس لا أستطيع أن أحصي لها عددًا تتداركني في آن واحد، لقد اختفوا من أمام ناظري..

تمالكت نفسي وحاولت التشبث بما تبقى لدي من عزيمة وجهد.. لأنطلق ثانية سعيًا في طلبهم وإدراكهم.

انطلقت ولكن جسدي كان يتحرك ضد اتجاه الأرض!..

ارتقي رغما عني.. لأعلي السماء!..

أحلق كالعقاب في عنان السماء..

لقد أصبحوا في مرمى بصري الآن مرة أخرى،

انجذب نحوه.. لا أدري إلى أين يصحبني؟.. وما هي سابق معرفتي به؟

أهو صديق قديم يحدث معه خطب ما؟

على العموم أنا لا أستطيع الامتناع فهو يقتادني رغما عني.

ظهر نور خافت قد انبعث من مسافة بعيدة..

أسفل سفح سلسلة جبال متلاصقة على حد وصفي.. من موضعي الذي يكشف الأمور من جميع الزوايا، أستطيع أن أجزم أنهم يقفون أسفل سفح الجبل الذي يتوسط جميع الجبال التي تحيطه.

وقف هناك أربعة رجال متشابهين في الزي وخامسًا ينم زيه المتأنق المرصع بالجواهر عن هيئة ملكية.. لا أستطيع أن أسبر أغوارهم فهناك هوة شاسعة تفصلنا.

وصل الجنود ليحملوا الشاب برفق ولين.. مُسجي جسده بالكامل على أكتافهم، يقتربون نحو الرجل ذي الهيئة الملكية، جلمود قاس، عيناه تشعان قوه وصلابة، شعره وذقنه كسواد الليل، ذي حاجبين كثيفين.

أشار إليهم بسبابة يده اليمني التي زخرفها خاتم ذهبي عليه نقش لحيوان ما.. يبدو أنه لأسد.. نقش ينم عن حقيقته الأصيلة..

حقًا ما أقربه إلى هذا الشبه!

تركت الصخرة التي كنت أحتمي بها وأراقبهم من خلفها.. حتى دلفوا إلى داخل الجبل، صاعدين عبر مدقات مصنوعة ببراعة.. تودي بهم إلى أبواب فولاذية قد فتحت على مصراعيها..

وراء هذه الأبواب العملاقة كهف قد نقش وصمم ببراعة داخل هذا الجبل الهائل الحجم!

لا يوجد أحد هنا غيرهم..

أتتبع خطواتهم في وجل..

الإعياء يصيبني.. أجواء الكهف ورائحته يخنقاني، ضغطت بيدي رأسي المهشمة بمطارق الحدادين صناع الأسلحة.. أتغافل الإعياء وأكردح في سعي.. أنوار المشاعل تتوارى..

مهلًا هناك خطب ما آخر!

اقشعر بدني ودبّ في جميع أوصالي الاضطراب، هذه المرة يرفع رأسه فقط دون جسده المحمل على أكتافهم، ينظر إلي بنفس الوهج السابق، إنه يعاود الكرة مرة أخرى..

ولكن الاضطراب قد زال سريعًا هذه المرة.. يبدو أنني اعتدته.

تمالكت نفسي لأثب سريعًا وكأن نظرته هي من تهبني القوة هذه المرة كسابقتها.. لأتبعهم قبل أن تنزوي آخر شعلة لهيب من المشاعل المضاءة.

سرداب سقفه تستطيع ملامسته بأطراف أصابعك، وإن كانت قامتك طولها مترين ستكون مضطرا أسفًا إلى أن تخفض من هامتك قليلاً..

عرضه كاف لتمرير فيل من خلاله.. حاملين مشاعلهم.. يتقدمهم ذو الهيئة الملكية ويتبعه الحراس، ما زالوا يحملون الفتى على أكتافهم، يتبعهم بالخلف الأربعة رجال في الزي الموحد.

أتخفى بين ثنايا الشقوق التي في جدران السرداب.. الذي ينتهي بأدراج قليله العدد تودي إلى أسفل.. حيث ردهة صغيرة أسفل الدرج.. على يسار الدرج باب يودي نحو ما يبدو عليها أنها غرفة.

لا أستطيع النفاذ لما هو بداخلها..

لقد خرج الجنود بعدما انتهوا من مهمتهم الموكلة إليهم حيث وضعوا الفتى بداخل الغرفة.. ليضعوني في وضع حرج..

هل سيقتلونني ويأخذون جثتي الهامدة ويلقوها فى الخارج؟، أم سيحملونني إلى الداخل بصحبته؟..

لا بأس في هذا..

وقفت بكل جرأه وشجاعة لمجابهتهم ولأنتهي من زخم المخاوف المتراكم الذي يثقل عاتقي..

يقتربون أكثر فأكثر..

وما أنا ازداد إلا ثباتًا وتصميمًا على مجابهتهم حتى الرمق الأخير والدخول إلى الغرفة لأخلص الفتى من قبضتهم..

ماذا دهاني!..

يداي المتحفزتان إلى القتال تنكمش، قدماي المنتصبتان لركل مؤخرة الأعداء تتناقص أصابعها ووجهي يتقلص تدريجيا.

فمي منقار.. عيناي أصبحوا على جانبي رأسي الذي بدا ضئيلا.. يدي المنكمشة هما جناحان..

وقدماي أين هم لا أراهم!..

مؤخرتي أصبحت ذيلًا لذكر حمام بني اللون!

زاوية الرؤية تتغير، السرداب يختفي الجنود لم يعد لهم أي وجود.

تحاوطني أغصان الأشجار، وتغطيني أوراقها، لقد عبرت السرداب فوق رؤوس الجنود ودلفت إلى الغرفة الضخمة وشققت طريقي خارج الجبل عبرة فوهة في سقف الغرفة الكبيرة التي تغطيها الأشجار،

وقفت على أغصان الأشجار في جسدي الصغير الطائر، إنهم بالأسفل أراهم عبر الفتحة الموجودة بسقف الغرفة المغطاة بالأشجار.

هز الأربعة سحرة رؤوسهم للرجل ذي الهيئة الملكية، يؤكدون أنه ينطبق للشروط..

أي شروط!

وماذا سيفعلون به؟

الشرط الأول.. أن يكون من سلالة ملكية ودماؤه نقية ليس ابن زنا،

الشرط الثاني.. صحيح البنية والهيئة..

كان آخر ما سمعته وهو أنه لم يولد بأي تشوه أو أصابع ملتصقة أو ناقصة، خمسه أصابع في كل طرف لديه..

مستطردين في بعض الشروط الأخرى التي لم أنتبه إليها جيدًا بفعل الرياح التي بدأت تهز الأشجار من حولي مشتتة انتباهي.

كانت كل الشروط تدل على اكتمال الشخص من كل الأركان..

من أجل شيء ما!

وصلنا إلى الصباح..

شمس الصباح بدأت في المرور بين بعض الوريقات.. تضيء الأسفل إضافة إلى المشاعل التي مازالت ملتهبة.. تتابع ما يحدث في صمت.

يتداول الأشخاص فيما بينهم الآراء، يختارون التوقيت المناسب، لقد اختاروا اليوم بعناية بالغة، لتكون الطقوس مكتملة الأركان.

اليوم سيحدث كسوف كلي للشمس، الوقت الأمثل لتحضيره..

فدورة حياته الزمنية ستكون اليوم!

هكذا خرجت الكلمات من حناجرهم.. يتداولونها فيما بينهم.

لم أفهم ما الذي تعنيه تلك الكلمات، هناك شيء ما يجهزون له أو كائن ما سيولد اليوم، يوم كسوف الشمس.

أصدرت أغلاله صوتًا يبدو أن الفتى قد بدأ يفيق.. فتح أجفانه ليجد نفسه بداخل دائرة كبيرة رسمت حوله وهو يتوسطها.

دائرة مرسوم بداخلها لوحة تضم الطبيعة بالكامل، مرسوم بالدائرة كواكب ونجوم ومثلثات..

ودورة حياة الكائن الذي تحدث عنه هؤلاء السحرة، ولكنهم لم يفصحوا عن اسمه بعد!

خرج الأربعة رجال الذين رسموا الدائرة من حول الفتى الذي أضحى رفيقي، يخلعون ستراتهم الطويلة لتكشف عن رداء أسود.. رُبط خصر كل منهم بإزار أحمر داكن اللون.. يتدلى إلى أرجلهم.. أكمام الأردية واسعة، تنسدل لأسفل وتظهر معاصمهم عند رفعها.

الرجل ذو الهيئة الملكية استأذن منهم الدخول إلى منتصف الدائرة حيث يتواجد الفتى المكبل بالأصداف الحديدية.

أنحنى الرجل نحو الفتى يتودد له.. مختفية آثار هيبته الطاغية على أرجاء الصرح الكبير بالأسفل!

حقًا لا أعلم كيف ينتهي سرداب وردهة صغيرة وباب حديدي.. إلى بهو عملاق للغاية هكذا، ما الفائدة منه!

نظر الفتى بتمعن لوجه الرجل الذي تخلى عن صلابته، واكتفى بأن يطرق برأسه إلى أسفل.

لا جدوى من تودد هذا الرجل الصلب إلى الفتى..

صاح أحد السحرة للسيد الذي بداخل الدائرة، التفت السيد خلفه..

فرمى الساحر بقلادة فضية.. التقطها السيد.

أخبره الساحر بضرورة أن يُلبسها للفتى حتى تتم بهذه القلادة آخر استعدادات الطقوس!.

طوق السيد عنق الفتى بالقلادة الفضية ورضخ لأمر الساحر بالخروج من الدائرة.. حتى أصبح الجميع حول الدوائر المرسومة وبداخل هذه الدوائر الفتى وحيدا.

نادى السيد على الفتى.. وأمعن النظر فيه.. حتى طال إمعانه..

ثم أخبره بأنه يحبه ويجب أن يتفهم ضرورة حدوث هذا الأمر.. ليأخذ بثأر والدته من القابع بعيدًا خلف البحار المظلمة.. متواري في الظلمات يحكم بالحديد والنار.. واختتم كلمات السيد بدموع قد ترقرقت على صدغيه..

وصياح من الفتى،

. هيا لنفعلها يا أبتاه.

ما أن بدأ الكسوف في الحدوث.. حتى علت أصوات السحرة الأربع بالترتيل عاليا.. يناجون الشمس والقمر والأرض في إشارات واضحة منهم في ذلك.

طالت التراتيل وزادت الأصوات علوا حتى عبرت الشمس متحدة مع القمر فوقهم..

تفتحت الأغصان وانكمشت أوراق الأشجار من حولي ليفسحوا المجال لسيادة الشمس والقمر اللذين يتوسطان كبد السماء والفوهة المفتوحة المؤدية للهو الواسع بالأسفل..

وكأن الشمس والقمر يسمعان التراتيل وأصوات السحرة، بدأت الأشعة الطفيفة التي تنبعث من حول الشمس في الانطلاق نحو الأسفل.

تحركت محتويات الدائرة من رسومات وتعاويذ منقوشة على أرضية الغرفة..

فالدائرة تتكون من اثنتين..

واحده كبيرة خارجية وأخرى داخلية..

رُسم في الداخلية من حول الفتى الكواكب بأسمائها بلغة غريبة لا أعلمها، كما رُسمت أيضًا نجوم ومثلثات متضادة..

وبين الدائرة الداخلية والخارجية دورة الكسوف..

بداخلها كائن غريب أشبه بالطفل له رأس كبيرة وجسد صغير!

هذه أبرز ملامحه التي عرفت أن أتحصل عليها..

تدور الدائرتان عكس بعضهما البعض في حركة طفيفة، مع استمرار الرجال في التراتيل وارتفاع أصواتهم وإقامة طقوسهم.. ازداد الدوران.

حتى حدث ما ليس في الحسبان ودعاني للتعجب!

أنا بين أيديهم ولست في الأعلى بين الأغصان!

هناك عنصر لا يزال الرجال في حاجتهم إليه..

الدم..!

سأصبح التضحية التي ستقدم لاستكمال الطقوس..

تطايرت الدماء بداخل الدوائر التي تتحرك لتلطخ جسد الفتى..

وتزايد اشتعال الشموع بفعل حركة الدائرة العكسية..

وتطايرت القلادة يمينًا ويساراً..

ملأت ذرات الغبار المكان بالكامل.

لقد بدأت الطقوس في عملها..

أشعه متوهجة بيضاء تنبعث من الدائرة المضيئة الظاهرة من التقاء الشمس والقمر..

اتجهت الأشعة نحو القلادة..

وتدفقت الأشعة بكل قوة وشراهة..

حتى اخترقت القلادة..

جسد الفتى ارتفع إلى أعلى..

وطفا في الهواء دون ملامسة أقدامه للأرض من أسفله..

وجهه اتجه بحركة لا إرادية نحو الفوهة..

واستقبل الأشعة المتوهجة التي اخترقته وهو فاغر الفاه.. وفاتحا عينيه..

تخللت أشعة الكسوف المنبعثة من الدائرة المضيئة حول الشمس والقمر فمه ومقلتيه،..

ليصل آخر شعاع كالسهم..

صرعه أرضا..

وبعد أن تمت التعويذة انفصل الشمس والقمر.

صمت المشعوذون الأربعة الذين أتى بهم السيد من غابات الإيوالا(*)[1] بعد أن تمت الطقوس.

ثم عاود الرجال الحديث..

[1] *الإيوالا: غابات أسطورية بعيدة عن كل المناطق المأهولة بالحياة حيث يعيش العمالقة والسحرة والسفاحون وقاطعو الطرقات والمطلوبون من قبل العدالة.

وهنئوا السيد باكتمال الطقوس..

وحلول روح الجادوكاي!

أي جادوكاي هذا، هل هي روح الكائن الذين كانوا يتحدثون عنه وما هي هذه القوة وماذا ستفعل بهذا الفتى.

هذه القوة المفرطة التي حلت للتو أشاروا بأنها ستكون سلاحا قاتلا، حرص السحرة على ضرورة إبقاء القلادة مع السيد.. وفي مكان آمن للغاية، حتى لا يتثنى لأحد العثور عليها.

تطوع أحد السحرة ودخل الدائرة ومد يده نحو عنق الفتى المسجى على الأرض ليقتلع القلادة من عنقه..

وجهي في وجه الفتى، والدماء تحاوطنا ولكن الحياة ما زالت تدب في أجسادنا، أراه تمام الرؤية بكامل أوصافه، فتى وسيم..

يد الرجل تتسلل لتأخذ القلادة ولكنه فوجئ عندما فتح الفتى عينيه.. إنهما متوهجان تماما كما كنت أراهم عندما نظر لي في المرة الأولى قبل أن أحلق في السماء عاليا.. أمسك الفتى بيد المشعوذ الذي يريد أخذ القلادة، ثم أمسك الفتى برقبته ونهض على قدميه.. يرفع الرجل إلى أعلى.. نحو فوهة الجبل التي غطتها أوراق الشجر وأغصانها مرة أخرى.

ارتعد الرجال الباقون بمن فيهم الرجل ذو الهيئة الملكية، اقترب السيد نحو الفتى وتضرع إليه بأن يترك الرجل وشأنه.. وأكد له أنهم ليسوا بمصدر أذى بالنسبة له..

صاح أحد السحرة:

. إنه في طور التحول سيشكل خطرًا داهم إن لم يهدأ من روعه..

انتشل القلادة المشعوذ الذي كان يختنق من عنق الفتى الهائج في حركة خاطفة ثم ألقى بها نحو السيد، الذي التقطها في نهم، غضب الفتى جراء فعلة المشعوذ ولكن قطع غضبه صوت تكسير عظامه المخيف

انشق ظهر الفتى وخرج منه شيء ضخم..

إنه يتحول لوحش ما.. وحش كاسر!..

صاح السحرة جميعا وركضوا بعيدا:

.لقد هلكنا جميعًا الآن..

هكذا قد ظننت أنا أيضا رغم تواجدي بالأعلى بين الأغصان مرة أخرى!

صرخات الفتى مدوية موجعة، ما زالت عظامه تتكسر ثم ألقى بالمشعوذ الذي كان ممسكًا به بعيدا.. وظل يكردح يمينًا ويساراً.

طور التحول ما زال في الحدوث!..

الأشجار تتسع أغصانها ثانية وتنكمش أوراقها.. ثقب أسود في عنان السماء.. جذبني نحوه.. جسدي يعود لكامل هيئته.. ارتفعت دون إراداتي.. فاقدًا وعي جزئيا.. ونظرت نحو الأسفل حيث رأيته في كامل تحوله، تنين أسطوري ضخم عيناه متوهجتان.. ينفث لهبه الحارق الذي يملأ كل رقعة تحيط به بالأسفل.

يمتد اللهب نحو السماء.. اللهب يطاردني.. هذا الفتى الوسيم تحول إلى وحش عظيم.. أراه بالأسفل وسط اللهيب الذي أضرمه.. السماء تنتشلني قبل أن يدركني بنيرانه، ثم غبت عن وعي بالكامل، وابتلعني هذا الثقب الأسود..

أقع بداخل سواد عظيم يبتلع جسدي ليدفعني من هوة تلو أخرى تلو أخرى أيضا"، أسقط آلاف المرات.. داخل دوامات لا حصر لها، فراغات تتقاذفني كالدمية بين أصابع فتى مستهتر.. رحالة يجوب العالم أجمع ولكن ليس بملء إرادته بل قسرًا وإجبارا.

3

أدور في الفراغ

tourner dans le vide... indila

بعد أربع سنوات

فرنسا، باريس.. بعد حضور معرض سامي..

الساعة السادسة صباحا.. قبل الاستيقاظ من الحلم الذي يطارده كل ليلة منذ وفاة والدته وهجر حبيبته له.

غرفة في أحد الفنادق الباريسية يمتلئ جوها بأبخرة التبغ ورائحة الفودكا..

هذا الإكسير الذي يدغدغ خلايا العقول ويغازلها كالفتاة العاهرة التي لا تستطيع مقاومة رغبتها الجامحة في الاستمتاع حتى تستلقي أخيرا غير قادرة على الحراك.

يخالط هذه الروائح السابقة رائحة فتاة فرنسية جميلة نائمة.. يكسو شعرها المهندم وجهها وكأن خصلها الشقراء لم يمسسهم أحد من قبل قوامها متناسق كما هو ظاهر من المناطق التي لم يستطع هذا الغطاء الأبيض ناصع اللون في الاقتراب منها حتى لا تتسخ هذه الجميلة.

يغط حبيبها في نومه هو الآخر..

على هذا السرير الذي تخللته أشعة الشمس التي سطعت وبدأت تنشر أنوارها من خلال المسافات التي توجد ما بين الستائر المغطية للشرفة.

واضعًا يديه عازلًا بين أشعه الشمس وعينيه فرأسه مثقلة رغما عنه غير قادر على الاعتدال حتى بدأ في الاستدارة وهو ما زال مستلقيًا على أحد جانبيه.. ناظرًا لفتاته.. يبدو أنه قد حظي بليلة من ألف ليلة وليلة مع تلك الفتاه التي يتصبب العرق على وجنتيها بعد ما أذاقته سكرات الحب والشغف.. قبل أن يعكر صفوه هذا الحلم الساذج.

هذا ليس بالخطب الجلل..

فها هو الآن تتفتح عيناه.. محملقا لهذا الوجه الملائكي النائم لامسًا إياه ببنان أصابعه التي سرت من خلالها نفحات من السعادة التي تؤكد له.. أنه محظوظ.

يقبل ثغرها الباسم.. ووجهه يقترن بأنفاسها المدججة بالإثارة والنشوة.. يهمس في شجن:

. صباح الخير أوجيني.. هذه ليلة أخرى لن تفارق ذاكرتي معك.

((فمن مثله تقع في حبه أجمل الجميلات دائما))

في كل رحلة يذهب إليها لابد من أن تقع في غرامه الفتيات.

يامن صاحب القوام الرياضي الرشيق والبشرة الخمرية والعيون الخضراء الجذابة التي طالما تحدثت عنها عشيقاته من النساء وتغنوا بفتنتها وسطوتها عليهم وعن قدرتها على التحدث إليهم واجتذابهم نحوه بنظراتها الأخاذة.. فهو إن لم يتكلم فهما كفيلتان بالقيام بهذا الأمر، يتحلى بروح مرحة تطرد أي حزن أو هم يريد أن يتسلل إليه.

ذلك الخليط الرائع المتجانس خلقت منه شخصية خلابة تجعله يبدو متألقًا ومثيرًا لكل من تراه.

رجل ثلاثيني لا يعرف السبيل إلى أي مسئوليه لا يريد أن يتزوج أو ينشئ عائلة ويتذوق معنى الاستقرار في حياته.. ينتقل من بلد إلى أخرى.. ولا يبكي على فقدان شيء..

اعتدل ليجلس على طرف عشه الحميمي ليلبس القليل من الملابس المبعثرة في جميع أنحاء الغرفة يلتقطها قطعة تلو الأخرى ثم لبسها كاملة ليعود إلى هيئته مرة أخرى ليستطيع فتح باب الغرفة كي تصل إليه القهوة التي طلبها منذ لحظات ثم فتح الشرفة التي أزال ستائرها المزخرفة بالورود البنفسجية ليجد كرسيين متقابلين أمام بعضهما الآخر ويتوسطهما منضدة صغيرة.. وضع عليها قهوته ليشعل سيجارته محاولا الاستفاقة من هذا الحلم الجميل..

محاولات مضنيه يريد من إثرها أن يكون جاهزا لرحلته الشاقة.. يحتسي قهوته التي يرشفها قليلًا وكأنه يتذكر قبلات أوجيني الجميلة له ليلة البارحة فيتخيل أن أحمر الشفاه الذي كانت تضعه قد التصق به فيحاول إزالته بأصابعه ولكن سرعان ما يعلم أنها قهوته المحببة لديه تداعبه كما داعبته تلك الجميلة وكأن نار الغيرة قد اشتعلت أيضا بقهوته.

تضيء أمامه شاشة هاتفه مرات عديدة..

يبدو أن هاتفه يرن كثيرا ولكنه لا يستطيع سماعه فهو لم يستعد تركيزه بعد..

يرن مره أخرى..

(سامي)

هذا ما ظهر على شاشة الهاتف..

بدأ يعود إلى وعيه هذه المرة التي رأى فيها اسم صديقه (سامي) شاعرا بصخب الحياة مرة أخرى.

سامي الرسام المشهور الذي تمنى أن تعرض لوحاته بجميع أنحاء العالم لقد بدأ فعليا في تحقيق حلمه الذي يراوده منذ الصغر فهو السبب الرئيسي في تواجده في باريس هذه المرة فقد أتى إليه من القاهرة لحضور معرضه الخاص به الذي أعلن عنه مؤخرا وكانت الليلة الماضية يوم افتتاحه فمن واجبه كصديق قديم أن يكون بجانبه في هذا الحدث الجلل الذي قد لا يتكرر أو قد يكون البداية الفعلية لنجاحه فقد ساعده في استقبال الضيوف التي أتت لكي ترى فن سامي الراقي ولوحاته التي حظيت بإعجاب العديد من الزوار ومن ضمنهم هذه الجميلة "اوجيني" التي ابتاعت لوحتين قد أشارت إليهم أثناء استعراضها للوحات التي نالت استحسانها وإعجابها ويبدو أنه كان من ضمن الأشياء التي نالت إعجابها أيضا أثناء حفل الافتتاح مما جعل الفرصة سانحة لكليهما بقضاء ليلة صاخبة مستكملين صخب حفلة سامي الذي ودع كلاهما بعد انتهاء الحفل مداعبا صديقه بغمزاته ونظرات عينيه حاسدا إياه على براعته في انتقاء أجود أنواع النساء.

أمسك بهاتفه مجيبا المتصل..

. ماذا بك يا سامي إنها السابعة صباحا الآن.. ماذا تريد!!

. سمع قهقهة عالية مصحوبة بكلمات ساخرة "اشتقت إليك كثيرا يا صديقي"

. "تبا لك دائما ما تستمتع بإفساد اللحظات الجميلة" ثم تمالك نفسه مردفا "أين أنت الآن"

. انتظرك في الأسفل..

. سأوافيك بعد دقائق من الآن.

عاد إلى غرفته مرة أخرى متجها صوب الحمام المقابل للحسناء النائمة ليأخذ حماما ساخنا يزيل آثار طعنات حبها حتى لا يشتم هذا المخادع رائحتها التي تغطي جسده بالكامل بدأ من خصلات شعره وصولا إلى قدميه حتى لا ينال منه ويطلق نكاته السيئة، دخل إلى الحمام ليأخذ حمامه الساخن، يزيل ملابسه، ويتفاجأ بما رآه بالمرآة أمامه، حول رقبته علامات حمراء، وكأنه كان جرحًا وقد ألتئم، لا عليه، يبدو أن أوجيني قد خدشته في مداعبه من مداعباته لها، يتغاضى عن هذا، وعن الكدمات التي ظهرت على جسده، معللا نفس العلة الماضية، ليفعل ما دخل لأجله ويذهب للقاء صديقه.

تربى سامي معه منذ الصغر فوالدا سامي قد توفيا إثر حادث أليم وهو في سن صغيرة للغاية مما اضطره للانتقال للعيش مع جده وجدته اللذين يقبعان بجوار والداه ومنذ ذلك الحين تربيا سويا وصارا أكثر من الأخوة، كان سامي أكثر عقلانية منه وهذا أعانه في الكثير من أموره حتى نضجا وتولى كل منهما دفة حياته.

"والآن ينعته بالبحار المجنون قاهر قلوب العذارى"

ألح سامي عليه كثير بالزواج والبدء في حياة الاستقرار وصنع كيان خاص به ليحظى بأولاد وزوجة صالحة ولكن في كل مرة يفاتحه في هذا الأمر يقابله بالرفض.

منذ ثلاث سنوات قام سامي بدعوته على العشاء بصحبة زوجته بمنزلهما فقد تزوج بفتاة تحمل الجنسيتين الفرنسية والجزائرية فالجنسية الأولى لوالدتها والأخيرة لوالدها تعرف عليها من خلال عمله

فهي من المهتمين بالفنون لقد ساندته كثيرا في مجال عمله وكانت صديقة مخلصة له قبل أن تكون زوجة.

لبى يامن دعوة صديقه ووصل بسيارته أمام العمارة التي يسكن فيها ناظرا من نافذة سيارته ليراه منتظرا قدومه في الشرفة قام بتحيته من الأسفل وصعد أدراج السلالم حتى وصل إلى شقته رقم 23 كُتِب على الباب في لوحة نحاسية اسم صديقه (أستاذ سامي الباجوري) قرع الباب فوجد زوجته تفتح له صافحها وخلع حذاءه لينتقل معها عبر طرقة صغيرة تنتهي بغرفة الجلوس حيث كان سامي ينتظره بصحبة فتاة جميلة يافعة فهم سريعا بحدة ذكائه أنها صديقة زوجة سامي وهذا فخ منه يريد من خلاله أن يقع في شرك جمالها ويتزوجها وينهي حياة العبث التي يعيشها، صافحهم جميعا وجلسا يتبادلان أطراف الحديث سويا لم يكن يامن مهتما من الأساس بما تقوله هذه الفتاة ويبدو أنها تعلم عنه الكثير وعن اهتماماته فمن غيره يستطيع أن يخبرها بمثل هذه الأشياء في محاولة يائسة لهم جميعا بلفت انتباهه نحوها..

رن هاتفه فخرج من هذه الغرفة التي لو ظل بها بضع دقائق أخرى سيختنق من هذه الأساليب التي لا تجدي نفعا معه ثم عاد سريعا وآمال نحو صديقه سامي يهمس في أذنه وسط صمت الأخرتين ليستأذنهم مصافحا إياهم وواعدهم بأنه سيكرر الزيارة مره أخرى ومعبرا عن استمتاعه بهذا الوقت معهم.

تاركا سامي وزوجته في موقف لا يحسدا عليه..

بررا للفتاة فعلة يامن هذه بأن والده مريض ويجب عليه العودة إليه ليتفقد أحواله ويطمئن عليه.

أعطى سامي العذر لصديقه لأنه يعلم ما يعتمر داخل قلبه.

ومن يدري لعله يتحدث إليه هذه المرة ويقنعه بالعدول عما هو فيه..

لمح سامي صديقه يقترب نحوه مشاورا إليه راسما ابتسامة تنم عن سعادته البالغة بوجوده في هذه المدينة الجميلة حتى تصافحا مشاورا له سامي بالجلوس.

. القبطان "يامن"

. بيكاسو الصغير.

. يبدو أنك لا تريد وداعي قبل سفرك.

. حاشا يا صديقي ولكني لا أريد الذهاب في هذه الرحلة لا أعلم لماذا؟

"لذا تراني مشوشا قليلا"

. أووه هذه الجميلة إذن! ألن تخبرني باسمها؟

. كفاك مزاحا يا سامي.. أنا حقا لا أريد الإبحار هذه المرة.

. "ومن يريد أن يترك غزالا ويبحر مع النورس!"

قالها سامي ضاحكا ولكن لم يلق مزاحه مردودا جيدا على وجه يامن فاستطرد كلامه قائلا بنبرة قد ملأها الأسى على حال رفيقه..

أنت لم تنساها يا يامن مرت الأيام وأنت ما زلت حبيس ذكراها.. تغلب على نفسك وحاول الفرار من ذكراها فهي الآن متزوجة ولديها حياة مختلفة عنك تماما.

"انظر إلى نفسك وأشفق على روحك.. فالعمر لا ينتظر أحدا.. فمنذ ذلك الحين وأنت قد أصبحت شخصا آخر"

. قاطعه يامن قبل أن يستكمل كلامه الذي يقوله كل مرة يراه فيها

"يجب علي الانصراف الآن فالطائرة قد اقترب موعدها"

. حسنا احضر حقائبك سأقوم بإيصالك إلى المطار فالسيارة بالخارج.

. لا داعي من هذا لقد توليت الأمر مسبقا، أرسل سلامي إلى زوجتك هذه المرأة تناسبك تماما أنت دائما ما تستحق الأفضل.

ابتسم سامي سعيدا بكلمات صديقه متمنيا له رحلة سعيدة وصافح الاثنان بعضهما بعضا وانطلقا كل منهما لرحلته الخاصة في الحياة.

4

رحلة طويلة

صباح اليوم التالي..

وصلت الطائرة التي استقلها يامن معلنين عن وصول ركاب هذه الرحلة.

خرج يامن ومعه حقائبه خارج المطار ليجد سيارة بانتظاره لتنقله إلى أحد الفنادق التي تم حجز غرفة باسمه في يوم سابق ليقوم بأخذ قسط من الراحة لمدة يومين يقوم بعدهم بالاتجاه إلى ميناء "ميامي" البحري حيث سيبدأ رحلته البحرية.

ميامي المدينة الساحلية المشهورة بالولايات المتحدة الأمريكية تقع في الجزء الجنوبي الشرقي لولاية فلوريدا ويقال عنها إنها (مدينة السحر) لما تمتاز به هذه المدينة من جو رائع ومناخ استوائي مميز حيث يأتي إليها الكثير من الزوار للسياحة والاستمتاع بجمالها ترى فيها الفراشات تحوم حول الناس بشكل مثير للروعة.

تستطيع عند الوقوف بعيدا عن الميناء بمسافة شاسعة رؤية "جراند شيب"..

السفينة البحرية التجارية العملاقة التي تنقل المسافرين والبضائع عبر المحيطات بجميع أنحاء العالم.. صرح بحري عملاق يصل طولها

مسافة أربعين طابقا وربما أكثر تحمل عليها الأطنان من حاويات البضائع..

"مدينه تجارية سكنية تسير على وجه المياه العميقة"

يرأس طاقمها القبطان بيتر الذي علا رأسه الشيب ذو قامة طويلة وعينين يعبران عن حدة طباعه المعروف بها.

صعد على متن جراند شيب طاقم المهندسين الذين يشرفون على المحركات ومولدات التشغيل وأنظمة الطاقة وآليات عملها.

وتم اكتمال الطاقم بعد القبطان ومساعديه بعمال السفينة الحريصين على أن تكون في أفضل حال وبالتأكيد على صعود الركاب جميعا وشحن البضائع.. أعربت جراند شيب عن استعدادها للرحيل من مياه ميامي الصافية.

سيمفونية بحريه تّعزف كي يصل الجميع لبر الأمان..

وسط شمس مشرقة وسماء صافية وأجواء ميامي ومناظرها انطلقت جراند شيب كالعروس تشق طريقها نحو عرسها والمحيط يحتضنها كالعاشق الذي لا يريد التخلي والابتعاد عنها.

قصه حب فاتنة بين سفينة ضخمة ومياه مفتوحة جارية تحوي العديد من الأسرار والخبايا تطفو السفينة بكل سلاسة ويسر..

هذا الحجم الهائل يسمح لهذا العمق بالانسياب بين ثناياه لتشق طريقها كالسهم الذي أطلق من جعبة سهام أمهر الرماة..

"لكن حذاري، ذاك المحيط العاشق متقلب ولا يدرك أحدا حقيقة نواياه"

كرس القبطان الماهر بيتر حياته لعمله.. خاصة بعد مقتل زوجته أماندا وابنه كريس في هجمات 11 سبتمبر عام 2001

على برجي "التجارة العالمي" و" البنتاغون".

لاحظ يامن تمتمة قبطانه بأسمائهم أثناء نومه فهو ما زال متأثرا برحيلهم على الرغم من شدته وبأسه وصلابة شخصيته التي أحبها وأراد أن يحذو حذوه كقائد لأكبر العلامات والصروح البحرية عبر العالم.

"كم هي قاسية تلك الحياة على أولئك الذين فقدوا أحبتهم فالحياة تنقلب رأسا على عقب بدونهم"

لم يتمكن أحد من أصدقائه على مواساته وتخفيف وطأة الحزن الذي اجتاحه بعد فراقهم.

يا له من إرهاب غاشم لا يفكر في المعاناة التي يلاقيها الآخرون يهللون ويكبرون باسم الله!

لكنهم لا يعلمون أن الله بريء منهم ومن أفعالهم الخسيسة التي تفقد القلوب سلامها والعقول رشدها وتطلق في الأرض جرادا يقضي على الأخضر واليابس.

ما أكثر الأسر التي دُمِرت والأشخاص الذين قتلوا وسفكت دماؤهم!

مؤمنون أم لا..

هذه ليست قضية البشر بل هي قضية خالق أعطى لكل شخص هبة الحياة وهو الوحيد القادر على استرداد ودائعه مرة أخرى ومحاسبة البشر جميعا في يوم مهيب تقشعر له الأبدان..

وما أقربنا جميعا لذلك اليوم!

بايّت أحد الملاحين المهرة الذين يساعدون القبطان بيتر بصحبه "يامن" و"دا سيلفا" البرازيلي الأصل و"هندريك " السكير، بايّت من عائلة مسلمة كانت تعيش في بورما ولكن تعرضهم للاضطهاد جعلهم ينتقلون للعيش في فيرجينيا حيث عاش حياة كريمة ينعم مواطنوها بالحرية بعيدا عن القتل والتطرف.

ما أقرب قصه "بيّات" لقبطانه..

فالمقولة الشهيرة (الإرهاب لا دين له) هي صائبة مائه بالمائة، فالإرهاب إرهاب نفوس مريضة تريد الفتك بكل ما هو خطأ في نظرهم ويخالف معتقدهم.

كلنا بشر قد تتشابه حياتنا لكن باختلاف الأحداث وتنوع معتقداتنا وأشكالنا وألواننا.

دا سيلفا ذاك البرازيلي راقص السامبا الماهر الذي يجلب لهم أجود أنواع القهوة بعد كل عطلة يقضيها مع عائلته في مدينه "ساو باولو":

. "يامن" لقد أحضرت القهوة المفضلة لديك.. مبتسما ابتسامته المعتادة.

. يالك من فتى يا "سيلفا" تدرك تماما ما أحبه أيها الماكر.

. لنرى إذا كان الكابتن بيتر يريد احتساء القليل معنا أيضا؟

. وصديقك الصامت أيضا!، مشيرا إلى هندريك بطرف عينه.

. أنت تعلم بأنه لا يحب الاستفاقة ولا تفارقه قنينة الخمر دوما.

اقترب "سيلفا" هامسا:

. لقد أخبرني بيتر ذات مرة بأنه لم يعد يرغب باستمراره ضمن الطاقم ولكنه يعدل عن قراره في كل مرة خوفا على هذا النذل وعلى

عائلته من التضور جوعا بيتر بالرغم من حدته في بعض الأحيان ولكنه لا يحب أن يمسس أحدا بأذى.

أطرق يامن برأسه دون أن يتكلم ويمعن النظر في هندريك.. يطرح التساؤلات حوله دون أن يذعن عن هذه التكهنات.. حول الرجال نوعية هندريك، تحاوطه عائلته وزوجته وأطفاله الرائعون..

. ما الذي يجبر شخص على ارتكاب مثل هذه الحماقات المروعة!..

هل ينتظر الندم أن يطرق بابه!..

ويخبره أن أولاده لم يظل أحد منهم بجانبه.. عندما يبلغ الكبر منتهاه.. ويضيق به العيش.. لم يظل أحد لأنه لم يكن لديه الوقت الكافي لهم ولقضاء الوقت بصحبتهم.

كان يهرب من الواقع لأنه مجنون لم يُقدر النعم التي كانت بحوزته، وقد عامل ابنه الأكبر بجفاء..

حتى ترك له البيت دون رجعة!..

تحامل الكثير هذا الولد على نفسه وقاوم شح والده الفكري والعاطفي معه.. هل ينتظر حتى يأتيه أجله.. ويتوارى التراب عليه دون أن تدمع عين أو يبتل طرف معطف بدمعة عابرة دون قصد.

أبحرت جراند شيب متجهة في رحلتها من ميامي قاصدة فنلندا رحلة شاقة نسبيا لهم ولكنهم يعلمون جيدا كيفية تحويل هذا الوقت إلى وقت ممتع حقا.

بدأ الجميع في الحديث عن عطلتهم وكيفية قضائها مع عائلاتهم، لقد كانت عطلة مميزة للجميع حيث الكل قضي وقتا رائعا مع ذويه..

ماعدا الكابتن بيتر..

الذي يقضي عطلته على اليخت الخاص به، يدعو أصدقاءه دائمًا لإقامة الحفلات الراقصة حتى الصباح.. سعيًا منه لإضاعة الوقت قدر المستطاع.. مستمتعًا برؤية السعادة ترتسم على شفاه من حوله، حتى تشعر للوهلة الأولى أن حرمانه من جو عائلته لم يؤثر عليه التأثير الشديد الواضح.. أو أنه كان ماهرًا جدًا في إخفاء حزنه بعيدا متواريا عن أعين الناس حريصا جدا على رؤية أصدقائه وعائلاتهم وقضاء لحظات سعيدة بصحبتهم لقد اتخذ البحر موطنا له وبيتا أيضا فهو المكان الوحيد الذي يزيل عنه وحشته ويخففها فقد حاول كثيرا أن يعيش بمنزله القديم ولكنه لم يستطع القيام بذلك أبدا وتنقل من منزل إلى آخر دون جدوى.

لا يعلم أحدا سر ذلك حتى هذه اللحظة..

ولكن يقال إن بمجرد الانتقال لمنزل جديد يصحون الجيران على صياحه ليلًا وتكسيره للأغراض دون سبب واضح.

أخذ سيلفا يداعبهم ويلقي النكات..

كانت تلك المرة عن مدى فخره باسمه كونه مشابها لاسم الرئيس البرازيلي (لولا دا سيلفا) الرئيس التاريخي للبرازيل الذي حكمها لدورتين متتاليتين بدأ من 2003 كل دورة لمدة أربع سنوات.

."لولا أن أسماءنا متشابهة لنافسته على رئاسة البرازيل"

استكمل كلامه عن ذلك الرئيس العظيم بكلمات عذبة ورنانة للغاية يبدو من خلاله مدى حبه وافتخاره الشديد بهذا الرجل الذي ينتمي لطبقة الفقراء في بداية نشأته فقد كانت طفولته قاسية وصعبة للغاية على حد وصفه فقد عمل ماسحا للأحذية وبائعا للخضراوات ولم يستكمل تعليمه بسبب حالته المادية وفقره الشديد حيث إنه كان ينتمي إلى أسرة تتكون من سبعة أفراد جميعهم ينامون

في غرفة صغيرة بعد انتقالهم لمدينة "ساو باولو" فقد انتقل والدهم قبل منهم إلى هناك وظنت والدتهم أنه أخيرا قد حصل على وظيفة لذلك انتقلت للعيش هناك أيضا وكانت الصدمة الموجعة التي قلبت حياتها وحياة أطفالها.

لقد تزوج بابنة عمه وترك أطفاله يعيشون من دونه مع أمهم التي عملت على زرع عزة النفس والكرامة والإرادة بداخل نفوس أولادها وتمكنت من تربيتهم..

فهناك مقولة شهيرة للرئيس دا سيلفا:

. لقد علمتني أمي كيف أمشي مرفوع الرأس وكيف احترم نفسي حتى يحترمني الآخرون.

لم تعن له حياته القاسية شيئا فضلا عن ذهابه إلى السجن ولكن لم يردعه هذا عن عزمه.. بل اتخذ الفقر والظروف الحالكة وسيلة للنجاح.. لقد حاول الترشح لمنصب الرئاسة ثلاث دورات متتالية ولكنه لم ييأس حتى تم انتخابه ونجاحه في الدورة الانتخابية لعام 2002.

تمكن خلال فترة توليه السلطة من اتخاذ القرارات الهامة والمصيرية التي رفعت من شأن اقتصاد دولته حتى أصبحت تحتل المرتبة الثامنة عالميا.. ناهيك عن اهتمامه بالفقر والفقراء.. فقد منع تصنيع الأسلحة وفرض الضرائب على صناعتها التي بدورها تعود على الفقراء مع وضع ضرائب تصاعدية هي الأخرى تصبح مصدرا من مصادر الدخل لهم فقد أخرج هذا البطل ذو الخلفية الاشتراكية عشرين مليون مواطن برازيلي من خط الفقر بل اهتم أيضا بتعليمهم.. مستغلًا الطبقة الغنية.. بحكم العلاقة الرابطة بينهم في اتخاذ الإجراءات الاقتصادية اللازمة لرفع عملة الدولة مقابل الدولار الأمريكي واستفادته من هبوط عملته في زيادة نسبة الصادرات.. منتهية مسيرته

العظيمة التي دامت لمدة ثماني سنوات رفض تغيير الدستور بعد انتهائهم.

كان يامن مهتمًا كثيرا بهذا الحديث الشيق عن هذه الشخصية العظيمة فها هو الآن قد تمكن من معرفة سبب إعجاب صديقه بهذا الرجل..

"من يعاني كثيرا يشعر بمن هم مثله"

انطفأ اللمعان البادي في أعين سيلفا بعد حديثه عن بطله وقدوته.

ما سبب هذه النظرات المريبة التي ارتسمت على محياه فجأة ودون أي مقدمات يبدو أن انطفاء توهجه لا يمد لانتهاء حديثه بصله..

ولكن بسبب ما رآه!!

تلبدت السماء في لحظات قليلة بغيوم شديدة الكثافة في لحظات قليلة ورياح عاتية قد بدأت في الاضطراب الشديد تسوق الأمواج أمامها.. والسحب بدورها، حتى بدأت الأمطار في الهطول بغزارة.. تضيء السماء بالبرق.. فتظلم وجوههم المضاءة بنور البرق الشديد.. تتوسل أقدامهم المرتعشة أن يكون الرعد رحيما بهم وألا يقسو عليهم بصوته الذي يشبه السوط الحديدي الذي يهشم عظام ضحاياه ويذيب لحومهم..

الأمواج الجارفة تتصاعد وكأنها تنهمر من السماء وليست صاعدة من جوف المحيط العاتي أسفلهم!

كقلعة حصينة بعيدة المنال راسخة.. تقف شامخة وسط صحراء هادئة ولكن هامت أعلاها نسور وغربان الصحراء بدون سابق إنذار حتى أظلمت السماء من فوقها واختفت أشعة الشمس التي كانت

تضفي وتبعث الدفء وتزيد من تألقها وسط الصحراء.. وبعد الإظلام المخيف بدأت المجانيق العملاقة تهدم أسوارها انتظارا لأول سقوط.. وبعد سقوطها لن يتبقى منها إلا بعض الأنقاض التي ستخلد ذكراها.

هكذا كان حال جراند شيب التي تكالبت عليها الأمواج من جميع الأنحاء محاولا القبطان بيتر ورجاله بألا يكونوا فريسة سهلة وضحية لما يحدث وسط صيحات الجميع وتخبطهم لقد داهمهم هذا الإعصار كاللص الذي يخرج من وسط الظلام قاصدا ضحيته يقنصها ويهرب دون أن يشعر أحدا به.. جراند شيب منطلقة منذ ساعات ليست بقليلة في الصباح الباكر ولكن كيف للصباح أن يضحي مساء في برهة من الزمن.. يصبح الوضع أسوأ بمرور الوقت..

أصاب المحركات العطب كما أصاب عقول مهندسي السفينة فلم يتمكنوا من استعادة السيطرة مرة أخرى وخاصة بعد توقف كل وسائل الاتصال الملاحية التي تربطهم مع الموانئ.

انحرفت السفينة عن مسارها بعد فقدان التحكم بها تدافعها الأمواج جيئة وذهابا كما تشاء كالصياد الذي يطارد غزالا ضل طريق عودته للقطيع فأقتاده لشرك لا فرار منه.

قادتها الأمواج المتلاطمة التي صفعت جوانبها بوابل أخرس كبرياءها جعلتها طوعا لرغباته الجارحة حتى وصلت بها إلى حافة تجويف مظلم تقاوم الفريسة ويرتعش بدنها رعشة الموت الأخيرة متشبثة بآخر أمل في الحياة.. فتتمايل وتصدر صريرها المخيف الذي يزلزل القلوب في صدور كل من على متنها.. لم يكن عليهم سوى الدعاء بألا تكون هذه نهايتهم فلا شيء بأيديهم الآن.

فالتجويف له قوة لا مثيل لها..

يخرج من باطنه الخوف هذا الشيء الوحيد الذي يقدر على إخراجه!

فهذا المثلث يلتهم كل ما يعبر نحوه أو تسول له نفسه الاقتراب من حدوده ذات الحرمة الشديدة والمقدسة.

أتستطيع جراند ترويض هذا القاسي وتقدم له الاعتذار ويعفو عنها وتدير ظهرها وترحل بسلام؟

ولكنه لم يسنح لها بذلك.

"برمودا.. ابتلعها"

لتبدأ رحلة يامن الطويلة في بلاد عجيبة لم يرها إلا في أحلامه، هذه المرة بدأ يحلم عن أشياء قد حدثت من قبل على هذه الجزيرة التي سيستيقظ ويجد نفسه على أراضيها، يحلم ولا يدري أنه سيكون جزءًا مهما من تاريخها.

5

النجاة

يهيم في دوامات تدفعه من فراغ لآخر فراغات لا متناهية.. تؤول به إلى اتساخ ثيابه البيضاء التي طالتها الدماء رغما عنها، أجساد موتى تضغط على صدره.. لا يرى شيئًا فقط الظلام الدامس.. يشق طريقه مزيلا" الأجساد العفنة المتراكمة فوقه، ثم يقف على قدميه..

تصبغ الدماء وجهه.. ويحاول إزالتها بطرف ردائه الذي زاد الأمر سوءا.. ولكنه استطاع أن يرى أخيرًا نفسه أمام شاطئ خاو تمامًا من الأحياء.. والمياه تطفو فوقها أجساد الموتى من المحاربين المغروسة بداخل صدورهم السهام.. وأفزعته المنازل الخربة التي يغطيها الرماد بعد التهام النيران لها.. بشاعة المنظر يؤرق أجفانه..

ومن حوله أجساد متحللة.. تندثر أسفل التراب، يخرج الدود من محاجر ولائمها.. تتلوى خارجة من فراغات الأعين.

تدوس أقدامه عظامهم التي لا حول لها ولا قوة.. ضوء أحمر مشتعل يومض له.. بعيدا أسفل الأشجار التي تبعد عنه بضع خطوات.. يبدو أنه ما زال البعض على قيد الحياة!.. تدب في أوصاله الشجاعة التي تتقدمه.. يتوغل أسفل الأشجار التي غطته بالكامل ليزداد الظلام بشاعة ناظرًا وراءه تحثه نفسه على العودة إلى أدراجه التي أتى منها فلا يجد إلا الظلام خلفه.. فقط جزء بسيط من الضوء ما زال هناك..

يهرول عائدًا إلى الوراء..

يريد اللحاق به ولكنه يفشل ليصطدم بحائط صلد يدفعه أرضا.. تضيع منه الفرصة الأخيرة للعودة إلى الشاطئ والهرب في أي قارب، ليس أمامه الآن إلا التوغل أكثر نحو الضوء الأحمر المشتعل آخر المطاف.

صراخ وأصوات قاطني الأشجار يرعبه ويسحب ما تبقى لديه من حياة.. يتقدم بحذر إلى الأمام..

لقد اقترب من الوهج ويشعر بدفئه، أنه الخلاص يناديه أخيرا..

يرى الوهج أعين مشتعلة!

تطلق نيرانها ليشتعل دون أن يحترق.. يهرول متخبطًا في الظلام..

يسقط في هوة كبيره تدفعه إلى أسفل، يفقد الوعي أثناء سقوطه فيغيب عن الوعي ثانيا..

إلى أسفل شيء ما يجذبه..

ليستقر في القاع باسطًا يديه لا إراديا كالنائم مغناطيسيا..

انطفأت نيرانه بالمياه التي غمرته..

أحدهم يجتّذب جسده خارج المياه قبل إدراك الموت المحقق!.

6

أرض الأحلام

على أراضي جزيرة دريك تاون ذات التاريخ العريق والسلسلة العظيمة من أعرق الحكام والشعوب التي اشتهرت وذاع صيتها في القوة والذكاء والتجارة، يهابهم الجميع ويفتخرون بالتزاوج منهم.. وهذا قلما يحدث بسبب افتخارهم الشديد بأنفسهم باعتبارهم من أكثر الشعوب رقيا وسطوة على مر العصور.. وسعيا منهم للحفاظ على أصالة دمائهم ونقائها.

تحديدا على ضفاف نهر ديلف الذي اتشح بالكآبة والبؤس بالكاد تستطيع رؤية أبسط صور الطبيعة بعد ما كان نعيما يحوي حياة خضراء مليئة بالشجن والسحر الذي يحيطه من كل الأرجاء فتجد الأرانب تقفز يمينا ويسارا متخفية وسط الحشائش والغزلان ترنو بسرعتها وأناقتها أسفل الأشجار والطيور بمختلف أنواعها تشدو بأصواتها العذبة الرنانة معلنة عن سعادتها..

قطعة من الأوليمب قد تجلت وزُرِعَت بين البشر.. هبة الآلهة لديلف أحد أعظم من كانت الجزيرة تحت إمرته يوما ما.

يجلس رجل عجوز متوار.. تحت ظلال الأشجار الساكنة التي تبدو وكأنها لم تعد تتجاوب مع الرياح التي تداعب أغصانها، أبت أن تحرك ساكنا.. معلنة عن حزنها لما آلت إليه الجزيرة بالكامل وأصبح النهر مكانًا قفرًا لا يقطنه أحد، يبدو على هيئة العجوز الوقار الشديد..

لحيته بيضاء طويلة مسندًا عصاه الخشبية بجانبه أثناء شوائه لسمكة للتو قد اصطادها من النهر.. على أي حال فمن الجيد أنه ما زال يمتلئ بالأسماك حتى لو كان القليل منها.

"فلا أحد يتمكن من القيام بشيء إلا ويجب أن يكون متخفيًا عن الأنظار"

يستعيد ذكرياته التي غاصت في مياه ضحلة ومظلمة.. تخرج بعضًا منها.. تستثير براءة طفولته السابقة، إبان حياة والده حاكم الجزيرة السابق الذي كان يدعى زاك.. تعيده ليستحسن مذاق السمك الذي يلتهمه بشغف كما كان يفعل في السابق، فكان يأتي بحطب الأشجار لوالده الذي يشعل النيران فيه ليقوم بإعداد أحب أكلة لطفله صاحب السعادة "كاسبيان" الابن والوريث الشرعي للجزيرة بعد وفاة والده.

من الواضح أن ما يفعله الآن قد اعتاد عليه منذ صغره.. قاطعًا عهدًا لا جدال فيه بألا يتراجع عن فعل هذا حتى لو مرت كل هذه الأعوام منذ رحيل والده العزيز.

"فأحب الأشياء على قلب من تعلق بأحدهم أن يحي ذكراه بأي طريقة ممكنة"

ديلف الحاكم الأسطوري بأسه وصلابته وسطوته تغنى بهم الشعراء ودرسهم أعظم الفلاسفة والأدباء.. متخذين منه مرجعًا للدهاء والقوة المفرطة ذات الحكمة والرصانة المبنية على أسس ومرجعية ثابتة لم يزعزعها إله أو بشر.

متفردًا بنوعه من الرجال، مختلقين القصص حول نشأته التي آلت إلى ما هو عليه.. معتقدين أنه قد تربى بغابات الإيوالا المنعزلة

بعيدًا عن كل المناطق المأهولة بالحياة حيث يعيش العمالقة والسحرة والسفاحون وقاطع الطرقات والمطلوبون من قبل العدالة.

هذا بطلب من والده زايروغ الذي بعثه وهو في سن السادسة مصحوبًا بدموع والدته وتضرعاتها اللا متناهية لزايروغ.. بالعدول عما يفكر به تجاه هذا الصبي ولكنه أصر معللا ما عقد العزم عليه.. فهذا يشتدّ عوده ويصبح رجلًا ذا شأن..

قبل أن يعود له في الثامنة عشر من عمره وقد غطته الندوب.. واكتسى جسده بالخشونة والصلابة حتى أصبح قويا بما فيه الكفاية ليستكمل مسيرته..

تولي زمام الأمور بعد وفاة والده زايروغ وحافظ على ما خلفه له من ممتلكات.. بل تمكن من امتداد رقعة خريطته وحكمه لما هو أبعد.. فقام بالسيطرة على الكثير من الأقاليم والممالك وأذعنوا له وخضعوا تحت سيطرته ونشر جيشه الذي أشتهر بعنفوانه ومهارته في القتال والحرب فأزداد غناه وعزته..

حتى بات اسم ديلف يهز الكثير من الملوك خوفًا من سطوته عليهم، يبعثون إليه الهدايا والجواهر.. يغزلون خيوط الود.

فضلًا عن سياسته وآرائه الصائبة الحكيمة ومجالسته للفنانين والحكماء والأدباء ومباراتهم أيضا في الشعر والأدب.. يقينًا أن ديلف كان من أعظم ما أنجبت دريك تاون يوما.

لم يتمكن البشر أو أبناء الآلهة من البشر المهجنين.. الذين قد لا يعرفون حقيقة أن دماء الآلهة تجري في عروقهم، أن يصلوا لمكانته.

في عصر تزاوج الآلهة مع البشر سرًا!

لذا أرادت الآلهة إضعافه ولكنهم لا يجدون سبيلًا لهذا..

كون ديلف لا يهاب شيئا ولا تهتز شعرة من رأسه.. إلا لحدث جلل يزلزل كيانه ويبعث الاضطراب الشديد بداخله..

وأي اضطراب قد لا يحدث له!..

إذا تضايقت محبوبته فاليريا من هبات حرارة الصيف المنبعث منها الوهج الحارق على بشرتها الناعمة فلو يقدر على إعطاء الشمس هدنة.. ترتاح فيها وتريح فاتنته من أشعتها المعذبة لها..

والحد من سرعة الرياح في الأيام الشتوية القارسة البرودة لتكون رحيمة بخصال شعرها المنسدلة على وجهها البريء..

يروض لها الكون وما عليه ليكون طوع بنانها، جلب لها الخدم والحشم الذين يملئون لها الكون ربيعًا لذيذا.. لإسعادها وجلب الراحة في أعينها..

تملأ الخادمات الجميلات اليافعات حمامها الساخن بخلاصة العطور المستخلصة من رحيق الأزهار النادرة ممتزجة بالحليب الرائق يخترقون أنسجه بشرتها لتزداد تألقا ولمعانا وشبابا..

انتظارا لعودته.

عشقها ديلف بجنون فعند عودته لقصره بعد صولاته وجولاته في أرجاء مملكته المتسعة حدودها يعانق زوجته المجملة المتأنقة بأطواق الزهور الجميلة والثياب المزركشة الحريرية ذات الألوان الخلابة ليعانقها ويجالس أطفاله لتناول الطعام الملكي الفاخر.. على ضوء الشموع المصحوبة برائحة البخور التي تصدر منها النشوة الفارهة، يتفقد أحوالهم وينصت إلى أطراف الحديث التي يتجاذبونها سويا..

ضاحكين تارة وصامتين الأخرى.. مولعًا بشغف حبه لأسرته الملكية.

يختلي بمحبوبته واضعا رأسها على ساقيه المحاربتين التي تطأ رؤوس أعدائه.. المتوسلين له كي يصفح عنهم، لكنها تتمدد عليهم.. تبعث الدفء في نخاع عظامه، شعرها الأسود القاتم يضفره لها كطفلة مدللة يقص عليها الأحداث التي مر بها خارج الديار لتنام جميلته على قصص رجلها المحارب العظيم وعلى وجهها علامات الجندي المنتشي بنصر قائده وكأنها أذاقت الأعداء وابلًا من السهام وكان لها نصيب الأسد من المعركة.

يراها فتتسع شفتاه معبرة عن سعادته البالغة.. لأنه يحظى بمثل هذه المرأة. تدفئ قلبه وتسره لما تكنه تجاهه من حب وإجلال واحترام.. إضافة إلى ذلك إدارتها الحكيمة للجزيرة وأهلها أثناء غيابه.

متجولة في الأسواق..

تتنكر في زي عامة الشعب!..

حتى لا يتعرف الأشخاص من حولها عن ماهيتها، لفت انتباهها الرضوخ لسعر هذا الغليظ ذي الكرش الذي يتدلى أمامه محدثًا انتفاخًا بارزًا في لباسه.. صوته أجش مخيف وكأنه يخيف الزبائن ويجبرهم على التفاوض رغم عنهم.. فلا يستطيع المشتري أو البائع الإحجام بل قبول تفاوضه والرضوخ لسعره الذي يحدده.

اقتربت نحوه قليلاً، تلحظه يفاوض امرأة مسنة على بقرتها بثمن زهيد، متدخلة لتجد حلًا لهذه المعضلة.. شفقة ورحمة بالعجوز، لكن هيئتها جعلته لم يستدل على كينونتها الملكية التي تخلت عنها خصيصًا من أجل هؤلاء الأوغاد.. الذين يسلبون الضعاف من العامة، مستغلين ضيق حالهم.

انهال بسبابه وألفاظه القاسية تجاهها يبدي اعتراضه على تدخلها المقيت في صفقته التي يجريها للتو ولكن ما كان عليها إلا الإشارة

لبعض الحراس الذين وقفوا على مسافة منتظرين إشارتها في لحظه ما!..

اقتادوه أمامهم، حتى أودعوه بالسجن انتظارا لمحاكمته ليكون عبرة لمن تسول له نفسه فعل مثل هذه الأفعال الدنيئة الجشعة، يتأسف مرارًا وتكراراً.. عما بدر منه.. حتى استدعت سيدة القصر الحراس.. لإحضاره من محبسه حتى يمثل أمامها.

جالسة على عرش زوجها الذهبي المرصع بالجواهر متزينة بالحلي واللآلئ، تتألق ملكة جزيرة دريك تاون زوجة العظيم ديلف قاصدة هذا الرص بكلماتها الحادة القاطعة:

(وأي مغفرة تّعطى لمن يهين المستضعفين والعجائز؟)

ردودها الحكيمة كانت بمثابة التاج الذي زين رأسها وجعل من يراها أن يجلها ويوقرها.. من أجل حكمتها وليس تاجها الملكي الفاخر فقط!..

وفي فعل غير متوقع يتحلي بالشفقة والصفح..

حكمت عليه باسترداد حاجه العجوز.. علاوة على ذلك إعطاؤها ضعف ثمن البقرة كعقاب مخفف له.. غير متخذة أي إجراء ضده عما بدر منه تجاهها في السوق أمام العامة..

مكتفية باعتذاراته المتكررة.. رفقًا منها بعدما أتت زوجته سرا لفاليريا.. تضرعت لها بدموعها وخاطبتها مخاطبة امرأة لامرأة مثلها..

كي تشفق على صغارها، تعتذر لها عن غباء زوجها ونذالته التي يذيقهم إياها ولكنها صابرة من أجل تربية صغارها.. لعل حاله ينصلح يومًا ما.. فلا ذنب لصغارها بأفعاله.

(فإنصاف المحتاجين ما هو إلا حق واضح وبين للضرير قبل المبصر)

يعلم ديلف بكل هذا عند عودته دون أن يظهر لها..

أيقن جيدا، أنها أخفت عنه ما فعله هذا الرجل، خوفًا من أن يقيم عليه.. حكما قاسيا، كونه تجاوز حدوده تجاهها..

قلبها الرحيم بمن حولها ومواقفها.. كالحطب الذي يضطرم في قلبه ويزيد من جذوة نار حبه.

ولكن الأمر الغائب عنه هو الألم الذي كان يطرق بابها من حين لآخر..

حتى ظهر الإعياء الشديد عليها..

ذَبُلَت فاليريا كأوراق الأشجار المتساقطة أثناء فصل الخريف واسودت المنطقة التي تقع أسفل مقلتيها وترهلت وجنتاها..

أصبحت كالشبح بشحوب وجهها وازرقاقه؛ جلب لها الحكماء من شتات مملكته ولكن لم يفسر أحد منهم حقيقة ما أصابها.. لقد كان شيئا يفوق علمهم ومعرفتهم.

امتطى ديلف صهوة جواده وانطلق صوب المعبد المقدس.. حيث تقام الصلوات للآلهة وتذبح الذبائح لهم.. محبة وطاعة من البشر.. وكوسيلة من وسائل التقرب للآلهة. هذا الضريح الأنيق حُفر في أحد الجبال الكائنة في وسط غرب الجزيرة..

يميل قليلا نحو الشمال.

تصعد له بالأدراج المرصوصة على جانبه وصولا إلى أعلاه.. وكأنه نقش نقشا!..

أصطحب معه بعضا من رجال حاشيته وغلمانه الذين ساقوا أثمن الثيران لدي سيدهم ديلف، وصعد بهم درجات الجبل حيث قابل كهنة المعبد المقدس وقصّ عليهم ما حدث.

ذبح الغلمان الثور على ضوء المشاعل، ثم تلا الصلوات الأربع كهنة المتسربلين بالأردية البيضاء المزخرفة بنقوش ذهبية، رؤوسهم حليقة مضيئة.. شديدة اللمعان في لهب المشاعل، مطلقين لحيتهم الناصعة البياض هي الأخرى.. كأثوابهم، الصلوات المقدسة تجهر بها حلوق الكهنة ومعهم ديلف ورجاله، أما الغلمان.. هبطوا نحو سفح الجبل بعد وضع ذبيحة سيدهم أمام تماثيل الآلهة المنحوتة بدقة بالغة في قلب المعبد.

يواظب على هذا المنوال طوال فترة مرضها حتى تساقطت آخر ورقة ذابلة للجميلة فاليريا..

وصل خبر وفاتها أثناء أداء الطقوس المعتادة فلم يتحمل وقع الصدمة التي أدركته، خرج عن صمته..

وأسرع نحو باب المعبد بالخارج، يصيح بصوت عظيم قد ملأه الجفاء واليأس والكراهية الشديدة..

ناظرًا إلى السماء قاصدًا القابعين أعلى السحاب بالأوليمب:

. ويح لكم لا تفعلون إلا ما تشاءون.. سآتي لمحاربتكم والنيل منكم.

وظل ينهمر في البكاء..

سقطت قطرة من دموعه التي ترقرقت في مقلتيه المتوهجتين بالألم البالغ الذي يفتك بكل ذرة قوة بداخله لتراه خائر القوى.. جاثيًا على ركبتيه لأول مرة في حياته..

حتى شقت هذه القطرة طريقها نحو الأسفل!..

انفجرت الأرض وفُلقت إلى نصفين.. تزلزل الجبل!.

اهتز الجبل من تحت أقدامهم متزامنًا مع هذا الاهتزاز سحب مظلمة قد اكتست بها السماء من فوقهم ليتدفق من باطن الأرض مياه بالغة الشدة.. وامتلأ الأسفل بالمياه التي انهمرت عن طريق هطول الأمطار من السحب الكثيفة الكامنة فوق الجبل مع تدفق المياه الجوفية.

أذهل هذا الحدث رجال ديلف والنساك القابعين بالجبل منذ مئات السنين معبرًا أكبرهم عن حزنه لما حدث للملك ديلف في بضع كلمات رصينة كعادتهم لا يتكلمون إلا في كبائر الأمور:

.لقد أشفقوا عليه.

انطلقت المياه المتفجرة بعذوبتها ووجدت مُستقرها بأطراف الجزيرة جنوبًا لتتحد مع مياه بحر الماين، شيد ديلف السدود على أطراف النهر.. لادخار المياه.. ليزرع منها أهل الجزيرة بدلًا من اعتمادهم على مياه الأمطار والآبار المحفورة في بقاع الجزيرة، يشربون من مائه العذب وتروى محاصيلهم..

وكان من العجيب أن في كل عام كانت تهطل الأمطار أمام الجبل دون أن يتغير توقيتها..

علي نهر ديلف!

كما أطلق عليه سكان الجزيرة منذ القدم تخليدًا لذكراه.

مرت الأعوام حتى أتت ساعته، ساعة لقاء فاليريا.. الذي رآها وهي تغازله وتمد يدها لكي تأخذه معها، كي يودع هذا العالم بلا رجعه.. وقد صُحبت أنفاسه الأخيرة المتهدجة بهذه الكلمات والأفعال:

. لقد كانت والدتكم فاليريا سبب راحة وخيرا للجميع حتى بعد وفاتها، هايدس سلبها منا..

تحشرج صوته وهو يخاطب ابنه سبايوس وابنته بريكسلا..

يمد يده في جيب معطفه، وأخرج منه قلادة!

أعطاها لسبايوس الذي سيخلفه من بعده..

يقبض على يد سبايوس بالقلادة، يعطيه الوصايا الأخيرة قبل أن يزف أنفاس الموت:

. أحتفظ بها إنها إرث لك ولكل من سيجلس على عرش دريك تاون، هايدس باغتنا ولم نستطع التغلب عليه..

بدأ صوته يتهدج وينقطع..

. لا تقلقوا على ثورجن سيكون بأمان دومًا وسيخلد إلى الأبد.. حتى يأتي اليوم الذي يأخذ بثأر عائلتنا الملكية، سامحوني لقد فعلت ما بوسعي حتى آخر قطرة في دمي.

ودع أولاده وفارق الحياة.. متأثرًا بجراحه وهو على فراشه الملكي.

تحول يوم وفاة فاليريا إلى يوم مميز.. يواكب يوم وفاتها اكتمال القمر الذي سمي تيمنًا بها "قمر فاليريا" أو كما يطلق عليه البعض "القمر الدموي".. كونه في غاية الحمرة في لونه.. هذا اليوم، وكأن القمر يشاطرهم الحزن على فاليريا..

تهطل الأمطار أمام الجبل في الرقعة التي بكى أمامها ديلف، وما أن يظهر القمر ليلا.. يبدأ هطول الأمطار بالتوقف تدريجيا.. حتى ينعدم بسطوع قمرها في سماء الجزيرة.

يتجمع سكان الجزيرة في حلقات.. يتلون فيها الصلوات ويذبحون أثمن الذبائح ويأكلون ويشربون ويغنون ويرقصون حتى بزوغ شمس اليوم التالي، ثم يبدأون بإطفاء النيران المشتعلة والعودة إلى منازلهم.. يخلدون إلى النوم بعدما ينفض هذا المهرجان الذي يضم جميع أطياف الشعب.

حقًا لقد كان حب ديلف وفاليريا سبب خير لكل من يحيطهم..

فالحب النقي يفيض على الآخرين ويملأ الكون سلاما

هذه الكلمات كانت تتردد على مسامع كاسبيان وكأن زاك والده، قد تلاها عليه البارحة ولم يفت عليها زمن بعيد.

يقاطع شروده في الأفكار التي توالت على ذهنه ما قد يحدث الآن..

انتفض من مكانه.. ونظر إلى السماء، لا يكاد أن يصدق ما تراه عيناه:

. ما هذا الذي يسقط بهذه السرعة العجيبة؟

هرول نحو ضفة النهر.. فأعاقته بعض أغصان الأشجار المتدلية، التي أزاحها عن طريقه بعصاه.. تسوق أقدامه اللهفة، حتى اقترب في نفس اللحظة التي صار فيها هذا الجسم قريبا من حافة السقوط.

صوت الارتطام طنّ في أذنيه..

وخلف وراءه حلقات من المياه تتباعد بالتدريج..

ألقى بعصاه جانبًا كي يستطيع التخلص من ردائه الأسود ذي الفراء.. ليكشف عن جسد لرجل ذي قامة ضخمة، لكن العجز أصابه بالترهل وإن ترك له بعض العروق البارزة والعضلات الهرمة..

تخطى المياه السطحية وتعمق إلى الداخل، وغاص في أعماق النهر.. كي يبحث عن هذا الجسم.. قرب مكان سقوطه، حتى وجده غايته، جسد بشري مسجي في المياه..

أسفل قاع النهر!..

أمسك به بيد ودفع المياه بيده الأخرى.. وشق طريقه نحو السطح، حتى تمكن من انتشال الجسد وبلغ به اليابسة، جره من قدميه جرا.. وقلب نظره في هذا الجسد.. ثم حاول أن يعرف ماهيته!

بشري مثله! لا يعدو ذلك إطلاقا.

سترته البيضاء هي ما تميزه..

أزالها كاسبيان ووضع أذنيه على صدره، يجتثه:

. ما زال قلبه يعمل..

ضغط كاسبيان بيديه على أسفل الحجاب الحاجز، وحاول أن يجعل الحياة تدب به مرة أخرى ثم تابع ضغطاته المتعاقبة ونفخ بأنفاسه عبر الفم المطبق الذي فتح به معبرا ضيقا للهواء كي يصل إلى رئتيه..

يفعل هذا بطريقة هستيرية، يحاول أن تدب الحياة في هذا الجسد مرة أخرى ويستطيع إنقاذ روح قد يبدو عليها الغرابة، هذه الغرابة التي تحوي سرا قد يكشف عما قريب.

حدث كاسبيان نفسه أثناء محاولاته

. لم تأت هنا محض صدفة يجب أن تساعدني لكي تنجو.

فهو لا يستجيب إلى هذه المحاولات المتكررة، يصيح كاسبيان:

استمر كاسبيان في محاولاته مرة تلو الأخرى..

حتى انفتحت عيناه في ضيق، وشهق شهقة.. أدخلت الهواء المنعش إلى رئتيه.. طاردًا المياه التي تشبع بها جوفه..

قبل أن تنغلق عينه مرة أخرى.

7

الكوخ

حمل كاسبيان الغريب على صهوة جواده الأبيض طويل الشعر الذي بالكاد تظهر عيناه من خلال خصلات شعره، وقطع به مسافة كبيرة سيرًا على الأقدام حتى وصل إلى الكوخ الذي يقبع فيه.. على أطراف الجزيرة بالمنطقة الجنوبية الشرقية في أعماق الغابات الواقعة هناك.. يتوسط هذه الغابات كوخ كاسبيان المتواري عن الأعين..

لا يعلم أحد بأمره من الأساس.. خاصة أنه يقع في منطقة لا يأتي صوبها أحد.. أسفل أشجار البلوط والسنديان الشاهقة العملاقة، يرمون بظلال أغصانهم العتيقة على الكوخ.

يتوقف بجواده أمام بابه الخشبي ليحمل الرجل على أكتافه البالية حتى يصل به إلى بر الأمان، فتح الباب بقدمه ليدلف إلى الداخل.

ومع انفتاح الباب بطقطقة مفصلاته الواهية.. يظهر جمال داخلي فريد من نوعه رغم البساطة الصارخة على محتوياته.

بداخله مكتبة كبيرة مطلية رفوفها بالذهب متخذة اليمين مكانا لها.. تحتوي على آلاف الكتب في جميع المجالات من سحر وفنون القتال.. كذلك أسرار عن تاريخ الجزيرة وسلسلة حكامها التي ينحدر هو منها في الأصل.

يتوسط الكوخ منضدة خشبية كبيرة.. تخفي بجعبتها خريطة مفصلة للجزيرة.. أسفل لوح زجاجي شفاف سميك الحجم..

علي بعد خطوات من المنضدة..

وُجد سريران متقابلان مفروشان من الأقطان وأغطية من الصوف والفراء تكسوهم.. يفصل بينهم دولاب خشبي.. يضم ممتلكات كاسبيان من ثياب جيدة الإنتاج..

غطيت أرضية الكوخ بالجلود المشدودة بعناية بالغة.. كأنه لم يطأها أحد من قبل مما ينم عن تفرد كاسبيان بهذا الكوخ وحفاظه عليه بصورة مبالغ فيها ليضع هذا الرجل الغريب الذي ساقته الأقدار ليُنقذ بواسطته فلولا تواجده في الزمان والمكان المناسب لفقد حياته بلا شك.. يتوسل كاسبيان الآلهة أن يتماسك حتى شروق الشمس وإرسال طلب لأريانا الحكيمة كي تأتي لمداواته.. فالشمس بدأت في الانسدال والتواري نحو الغروب لتعلن عن هيمنة الليل على سماء الجزيرة ويطفئ المشاعل لينتظر إشراق شمس يوم جديد.

ناظرا إلى وجه الرجل الذي أتشح بثياب كاسبيان بدلًا من ثيابه البيضاء المبللة:

. تماسك حتى الصباح ستكون هذه الليلة بالغة الصعوبة يا عزيزي.. فقط تشبث بالحياة.

8

أريـانا

أشرقت الشمس صافية معلنة عن ترحيبها بالضيف الوافد الجديد المنضم حديثا إلى أراضي دريك تاون.

مع إشراق الشمس وانطواء الظلام وعتمته الموحشة.. انبثقت لؤلؤة الجزيرة..

أريانا(*) [2]الحكيمة..

التي تداوي آلامهم وتخفف معاناتهم ليقف الجميع محملقين بها متسائلين فيما بينهم عن سبب براعتها في تقديم المساعدة المستمرة لهم:

. أهو ذكاؤها أم نبوغها الذي تستخدمه لمداواتهم، بل بالأحرى هي ابتسامتها العذبة الساحرة.

متألقة بردائها الأرجواني الذي يبرز ثنايا جسدها كعروس البحر في فتنة جمالها الساحر الذي يخلب الألباب ويستحوذ على الأعين.. بياضها ناعم كالثلج.. عينها مسحوبة.. لا تستطيع أن تفرق في لونها ولون السماء وصفائها.. شقراء مضفرة الشعر وبالرغم من هذا يتدلى حتى خصرها، يعلو رأسها إكليل من الزهور.. مزيجا من الزهور الحمراء

[2] أريانا *: اسم أصله يوناني يعني العفيفة أو ذات الأصول المقدسة

والبيضاء المقاومة للتلف، أهدته إحدى الساحرات لجدتها التي بدورها نقلت ملكيته لها عند بلوغها سن الثانية عشر من العمر.

لتنفتح أبواب الكهف الفولاذية العملاقة التي لا تقهر المصنوعة بجوده بالغة منذ آلاف السنين بمعرفة أمهر الحدادين.

كهف داخل الجبل الذي يتوسط الجزيرة الذي يقع ضمن سلاسل جبلية أخرى، تحيطه الأشجار من الخلف والجانبين.. فصلته هذه الأشجار عن الجبال المتجاورة.. ونبتت على قممه وجوانبه الحشائش، صمم هذا الكهف بهذه الصورة إبان حكم ديلف لحمايتهم من هجمات الأعداء.. متخذينه كخط دفاعي أخير ومانعًا يحتمون به في أحلك الأوقات، تفكير متوقع نابع من عبقرية واستراتيجية حربية تّدرس على مر العقود، ظل طوال هذه القرون غير مأهول بالسكان لعدم حاجة أهل الجزيرة له بفضل قوة الحكام والشعب بيد أن هنالك نوعا من السحر الخفي الذي تحدث عنه الجميع طوال الفترة المنصرمة يحمي الجزيرة وشعبها.

تم دحر هذا السحر فجأة ودون سابق إنذار لتصبح دريك تاون فرصة سهلة وسانحة لكي ينقض عليها القاطن بعيدًا خلف البحار المظلمة.. المتواري في الظلمات يحكم بالحديد والنار، تّسمع صرخات المعذبين في أراضيه الخربة القاحلة تتردد أصداؤها في الفراغ الشاسع الفاصل بينهم ليفرق شتات هذا الشعب المتفرد من نوعه ويجعلهم كالجرذان يحتمون بهذا الكهف مكتفيًا بالنظر إليهم عن بعد، مشردين مسلوبي القوة والحيلة والعتاد يعيشون على أمجاد الماضي في حاضر تعيس ومستقبل مجهول الهوية يعيشون على الفتات والقليل من الطعام الزهيد المخزن لديهم من البقول وبعض الفواكه البرية أو الذين يصطادونه على استحياء كل فترة..

تجد أمام ناظريها عند خروجها جواد عمها كاسبيان ينتظرها أمام أبواب الكهف.

اضطربت أريانا فليس من عادة كاسب ألا يأتي إليها بنفسه وأن يبعث جواده بمفرده فتصاعدت بداخلها وتيرة مخاوفها التي تأججت في صدرها، تؤكد لها أنه ليس على ما يرام أو حدث له خطب ما.. لتمتطي جوادها تتبع آثار حوافر جواد كاسب.

وصلت كوخ كاسبيان لتفتح بابه لتفاجئ بوجود هذا الرجل الغريب وقد انكفأ عليه كاسب لرعايته ويبدو أن هذا ما أجبره لجلبها إلى هنا.. منتظرا إياها على أحر من الجمر.

. هذا الرجل الغير مألوف سقط أمس من السماء.

. سقط أين يا كاسب؟.

. في نهر ديلف وقمت بإنقاذه قبل أن يفقد حياته.

. ما خطب ملابسك التي يرتديها؟

. ملابسه كانت مبتلة بيد أنها كانت غريبة الأطوار!.. أنه يهذي ويتمتم بكلمات غير مفهومة.

. ودرجة حرارة جسده!

. مرتفعة يصاحبها تشنجات متكررة تجعل التقاط أنفاسه مهمة صعبة للغاية.

مقتربة نحوه قليلًا لتضع يدها اليسرى ما عدا الإبهام على جبهته تتحسس حرارته ولو رأى نعومتها الأنثوية المفرطة لتوسلها أن تظل هكذا إلى الأبد، مردفة بحديثها فاغره فمها تتملكها الدهشة.

. ساقطا من السماء.. أيعقل هذا؟!

لقد قرأت كتبًا جمة كانت تستعيرها من مكتبة عمها العريقة تتحدث في مضمونها عن النبوءات التي تتذكر بعض الأسطر منها عائدة بذهنها إلى طفولتها حيث كانت تتخذ الكرسي الخشبي المنزوي هناك بداخل الكوخ..

. سقوط جلي عظيم، يوشك على الوقوع ما بين دمار ونجم ساطع يلمع في ذروة النهار يجمع قوى الطبيعة ويهيمن على المسكونة حتى يطلق شعاعه الأخير..

. عمي كاسب.. هذه الأسطر غير مكتملة!

. لقد تعمد كاتبو النبوءات إخفاء هذه الأسطر..

. هل سينطفئ بعد إطلاق شعاعه الأخير يا عماه؟!

. توقف علمنا عند هذه النهاية التي ستظهر ملامحها يوما ما.

يكتفي بإخبارها هذه الحقائق البسيطة فقط التي تبدو وهمية نوعا ما وغير محتملة الحدوث لكونها ما زالت صغيرة بعد ليحملها بين ساعديه محملًا إياها على ظهره لتتشبث بكلتا يديها مطوقة رقبته وتلف قدميها الصغيرتين حول خصره ليركبها جواده ليعود بها إلى حيث تقطن، تتدلى من جيبه الصفحات التي أخفاها عن صغيرته.

من الشائع والطبيعي جدًا أن تكون أريانا على هذا القدر العالي والكفاءة الشديدة من المعرفة لترعرعها مع عمها كاسب وسط الكتب والمخطوطات ومصادر المعرفة المتنوعة.

. إن التشنج والهذيان يعاودانه مرة أخرى وحدتهم تزداد بمرور الوقت.

لتخرج أريانا بعض الأعشاب من حقيبتها الجلدية الملفوفة حول خصرها لتبدأ في ممارسة سحرها الطبي.

يقف كاسب مديرا ظهره للغريب والحسناء يتملق المخطوطات والكتب ويتمتم بكلمات منمقة سحرية لتتحرك الكتب والمخطوطات من مكان لآخر ليعلنوا عن كتاب قد تقدم بارزًا عن الجميع على رف المكتبة الزاخرة بالكتب المختلفة الأسماء والأشكال والاستخدام ليمسك به بكلتا يديه ويضعه على المنضدة.

. الأعشاب لا تجدي نفعا، تتفاقم حدة الأعراض وصرير أسنان مخيف ينبعث منه.

. ساعديني على حمله ووضعه على المنضدة الخشبية.

ليتمكنا أخيرًا من وضعه ليستقر جسده المرتجف المرتعد على المنضدة وكاسب يمسك الكتاب البالي الصفحات الذي أخرجه للتو من المكتبة الذهبية العريقة وبجانبه أريانا تراقب في ذهول ما يفعله كاسب الغامض بالرغم من حبه الشديد لها ولكن بداخله أسرار دفينة لا تجد طريقة تقتنص بها هذه الأسرار منه.

. لا يوجد إلا حل واحد بإمكانه إنقاذ هذا الرجل ويتثني لنا معرفه إذا ما كان.

. النجم..!

. لا أدري تحديدا لا يبدو عليه ملامح النجم ولكن هناك طريقة واحدة لاكتشاف الحقيقة ولن يكون بإمكاننا المحاولة مرة أخرى.

. إذن ماذا بوسعنا أن نفعل!

9

الجادوكاي

. أتتذكرين نبتة الجادوكاي (*)[3] ستكون هي مفتاح المعرفة الحقيقية.

. ليست موجودة من الأساس إلا في بضع الكتب والأساطير التي قرأتها ولم يستدل أحد على وجودها أو امتلاكها إلى وقتنا هذا بالإضافة إلى أنها نور ونار قد تقتله حتى وإن وجدت.

. أعطني القلادة الموجودة حول عنقك.

. إنها لوالدتك يا كاسب لا جدوى من هذه القلادة إنها أحد الهدايا التي أعطتني إياها.

. افعلي ما أخبرك به سريعًا لم يعد أمامنا المزيد من الزمن.

ترضخ أريانا لطلبه في الأخير مزيلة إياها لأول مرة منذ ارتدائها لها كما أخبرتها جدتها بالحفاظ عليها وبدورها ستتكفل القلادة بجلب السعادة لها رغم أنها لم تجد هذه السعادة الفعلية ولكن لن تخسر أكثر مما خسرت إن فعلت ما أمرتها به جدتها.

لقد وصل التشنج إلى ذروته، يرتفع صدره بتشنجه عاليا مبعدا ظهره عن ملامسة المنضدة يزفر أنفاسه ويشهق ببطء شديد.

[3] * الجادوكاي: قوي مظلمة أسطورية تنتج من تزاوج الشمس والقمر عند تقابلهما في الكسوف الكلي، يشار إليه بطفل ذات رأس كبير وجسد صغير، يظهر بتقابل النجمين ويندثر بعد انفضاض التزاوج.

. احضري الحبل الموجود بالدولاب الخشبي وساعديني في تقييده.

أذعنت أريانا لكلمات كاسبيان المتلهفة لتحضر الحبل السميك ليقيدوا هذا المتهالك المشرف على الموت.

. انقشع غلاف الكتاب مبديًا عن صفحات بالية متآكلة الجوانب رطبة وكأنها أرض خصبة تصلح لاستقبال البذور ليصل بعد بحثه عبر الصفحات المطوية إلى ما بعد المنتصف حيث توجد مجموعة صفحات ملتصقة معا.. منقوش بداخلها تجويف..

مندهشة من سر التطابق العجيب فاغرة فمها ورافعة حاجبيها ومتسعة حدقتي عينيها:

. التجويف يطابق القلادة وكأن من كان يمتلك القلادة كان يقتني الكتاب ونقش التجويف بمهارة وحرفية عالية!

. القلادة بداخلها الجادوكاي.. الجادوكاي ليست نبتة في حقيقتها، إن الأمر يفوق تصورك ومجرد كونها نباتا.

مفصحًا لها عن السر الذي طواه في أعماق معرفته اللامتناهية من العلوم ليتركها مضرجة بدماء الحقيقة التي لطخت عقلها الآن وملؤه التفكير لتتعاظم بداخلها رهبة ما يتنامى إلى مسامعها ورؤيتها طيلة حياتها.

تابع كاسبيان ما بدأه موليًا اهتمامًا وتركيزًا لما تؤول أمامه الأمور من خطر داهم فها هو الآن أمام اكتشاف أعظم الحقائق التي انتظرها وتمنى أن تحدث وهو على قيد الحياة.

متمركزة القلادة في قلب الصفحات اليسرى للكتاب، تقابل الصفحة الأخرى التي تحوي دائرة حياة الجادوكاي وانبعاثه المؤقت لرؤية الحياة بفضل مضاجعة قوى الطبيعة لبعضها.. وانقشاعه بعد

نشوة الطبيعة واستحواذها على أنظار ساكني الأرض، طالما أحبت الطبيعة أن تدوم فاتنة ينظر إليها الجميع متفرسين في جمالها لا يصرفون أنظارهم حتى يتشبع كبرياؤها وترضى غرورها.

أسفل دورة حياة الجادوكاي طلاسم غير منتظمة التكوين وعبارات لا معنى لها وبالضغط برفق على القلادة حتى تتمركز كليًا بمنتصف الصفحات، تضخ من جوفها البلوري الشبيه بالبازلاء سائلًا أسود اللون بفعله أعادت الكلمات تكوين نفسها تلقائيا.

أضاءت الكلمات بوهجها الذي صاحب ترتيبها السحري الصفحة البالية، لتبدأ دورة حياة الجادوكاي بالحدوث، يتمتم كاسبيان بالكلمات التي رُتبت للتو، ويمسك الكتاب بيده اليسرى ويضع اليد الأخرى على جبهة مجهول الهوية الممدد على المنضدة مقيدا.

يتلو كاسبيان التعاويذ التي أخافت أريانا بجانبه متخذة بعض الخطوات إلى الخلف مهتزة يده اليسرى.. ومتغيرة لهجته المعتادة التي تتردد على مسامعها، تحول صوته الهادئ الرصين إلى صخب عالي مخيف.. يبعث الظلام من خارج جوفه ويزلزل أركان الكوخ الساكن، متبدلة عيناه متخلية عن سوادها إلى بياض زلالي يغطي كاملها.

نطق كاسبيان بآخر الكلمات حتى سقط أرضا، مغشي عليه.. لا يحرك ساكنًا وتطايرت حوله وغطته ذرات الغبار الرمادية المتخلفة من تبخر الكتاب.

تدحرجت القلادة من قلب الصفحات المتبخرة على المنضدة..

قبل أن تلقى طريقها أسفل أقدام أريانا.

10

الصدمة

شعر بالدوار الشديد، أحدهم قد أصابه بعصا غليظة فوق رأسه أو ما شابه ذلك ليشهق شهقة المولود الذي تدغدغ رئتاه هواء الحياة المقبل عليها فينفجر بالبكاء، ليجد نفسه في زى غير مألوف ومكان يراه للمرة الأولى في حياته.. ليضطرب بشدة، وهن قد أعتلى جسده وزغللة تغشي على رؤيته لينتفض صائحا مهرولًا نحو باب رآه مخرجًا من مخاوفه ليجده موصدًا ليصيح بأعلى صوته أين أنا ولا يجيبه أحد.

يرتجف جسده ويصيح بأعلى صوته لا يعي ما يفعله..

اقتربت منه أريانا يبدو أنه لا يستطيع رؤيتها لتلامس أطراف أصابعها جسده فيلتفت إليها يزيحها بعيدا، تتضح الرؤية تدريجيًا فيراها بكامل هيئتها واقفة أمامه ليعاود الطرق على الباب، يظن أنه ما زال يحلم.

خاطبته بصوتها الرنان الهادئ لتعيده إلى صوابه وأن حلمه قد انتهى وها هو الآن مستيقظ أخيرًا.

. هدئ من روعك.. لا داعي لهذا الذعر.. لا شيء يؤذي هنا.

تحدثه بلغه غريبة ولكنه يستطيع فهمها بكل سلاسة ووضوح ليلتفت إليها ثانيه لتنتهي جلبة الصياح التي أثارها منذ استعادة وعيه.. ينظر تجاه المنضدة ليشير إلى الساقط أسفل المنضدة.

. أهو ميت ؟

. كلا.. ساعدني في رفعه ووضعه على السرير.

اقتربا ثانية نحو جسد كاسب الممدد ليساعدها على النهوض به

. لنضعه على هذا السرير.

. لا أنه يخصك.. الآخر له.

رمقها بنظرة تنم عن الدهشة التي تملكته ليفعل ما أخبرته به متجهين بكاسب نحو السرير الآخر، يضعونه كالرضيع بكل رفق.

. ما زال يتنفس.. هذا مؤشر جيد، تتابع العلامات الحيوية التي تدل على استقرار حالته الصحية.

. ماذا حدث له..

لم تجبه أريانا حيث لفت نظرها أطراف كاسب التي بدأت بالتحرك لينتفض بظهره المرتخي الذي انتصب فجأة وهو يتأوه نافخًا بفمه زفير قوي يخرج من بين ضلوعه، ليرى أريانا والرجل المجهول بجانبها.

أعدت لهما الحساء الساخن على قّدر المياه التي وضعته على النار خارج الكوخ لتدلف داخلا ممسكة بالأواني الفخارية، تعطي كلاهما الحساء الممتزج بلحم الأرانب البرية ليبتلعاه بنهم شديد.

لم يتفوه أي منهم بكلمة.. خاصة يامن الذي يحاول استيعاب ما يحدث له، أخر ما يتذكره، تواجده على متن سفينة والإعصار الذي داهمهم وتخبط الرجال من حوله بمن فيهم هو.

الآن الشمس تميل إلى الغروب مما سيضطر أريانا بالعودة إلى الكهف قبل أن توصد أبوابه.

ودعت أريانا كاسبيان المستلقي بفراشه بعدما تجرع حساءه الذي قد يعيد إلى أوصاله الدفء والقوة مرة أخرى بعد المجهود الذي بذله في إنقاذ هذا المجهول مكتفية بالنظر إلى الآخر بنظرات مبهمة تملؤها معان دفينة، تاركه كاسب في مهمة إيضاح الأمور له.

انطفأت المشاعل المضيئة للكوخ لتسدل الستار على ليلة عنيفة كان سيذهب ضحيتها الاثنان القابعان بالداخل.

. أنت تريد معرفة ما حل بك وسأقوم بأخبارك ورفع الحرج عنك لكن أخبرني قبلا، كنت تهذي طوال الليلة الماضية وحتى اللحظات القليلة قبل أن تخور قواي لتستيقظ أنت.. ما الذي كنت تحلم به!

11

السر يُعلن

اقتربت أريانا من الكهف عائدة إلى أدراجها تتلهف رؤية أبوابه قبل انغلاقها متروكة وحيدة تحت سواد الظلام القاتم وسيادته على أجواء الجزيرة، ترخي السرج لجوادها المنطلق بفعل إعطائه حرية الانطلاق الكاملة، تعجله للوصول إلى منطقة الأمان قبل فوات الأوان، ترتفع أصوات السلاسل الحديدية التي ترخى وراء جدران الكهف، تنساب الأبواب تدريجيًا لتسد طريق الوصول إلى أغواره، يدب حوافره بكل قوة ليستبق الأبواب قبل سماع دوي ارتطام شقيه بكل قوة وهيبة، بكل رشاقة يقفز لتنساب أقدامه وجسده الأسود، تتطاير ضفيرتها المعقودة مع وثبته القوية، آخر شعاع للشمس يتواري بتواري أجسامهم خلف الأبواب التي يحتمي بداخلها سكان الجزيرة.. ليتلاقى نصفاه بمجرد وطأة حدوة الفرس المنطلق.. بعد وثبته القوية داخل أرض الكهف، كتلاقي عاشقين احتضنوا بعضهم بكل قوة وعنفوان، منقوش على الأبواب بالخارج وجه أسد يكتمل بتلاقي نصفاه.

تطأ أقدامها المرتعدة أرض الكهف الدافئ نازلة من على صهوة جوادها بعد وصولها إلى البهو الشاسع بالداخل، تتخذ يسار الكهف مقصدًا لها، تقتاد جوادها سائرة به نحو الإسطبل.. مرفقة به، تزيل لجامه وسرجه، لتصب الماء في الحوض أمامه ليستقي ويروي ظمأه.

تربت وجهه برفق تعبر عن امتنانها تجاهه كما فعلت دوما، شجاعا ومخلصا لها.

. ما زلت بخير مرة أخرى بفضلك.

لتخرج من الإسطبل موصدة الباب وراءها لتعود إلى البهو مره أخرى..

تتعدد الغرف في كل أنحاء الكهف، تصعد نحوها بأدراج توجد في كل مكان بالكهف تصل بك إليها، تحفة معمارية تخلب العقل، الآلاف من الغرف داخل جوانب الكهف، تصل حتى أعلاه، وأدراج أخرى آخر الباحة ولكن تأخذك إلى أسفل حيث مخازن كثيرة من ضمنها مخازن المؤن والطعام يخزن بها أهل الجزيرة حاجتهم توزع عليهم حصص متساوية منها حسب عدد أفراد كل أسرة في كل غرفة.

ويقال إن هناك سردابا سريا مجهولا!

اعتلت أريانا الأدراج قاصدة الغرفة التي تقيم بها مع جدتها كير، عبرت أريانا الأدراج لتزيل الستار المصنوع من الجلود الذي يغطي مدخل الغرفة، لتدلف إلى داخلها، غرفه بسيطة، سقفها الصخري يحتضن الجدة بداخله، على سريرها بسيط من القش المتراكم فوقه الفراء على الأرض الصخرية، سرير لكل فرد منهم، ومشعل يضيء الغرفة ويضفي إليه الدفء بالداخل.

وجهت الجدة المندثرة بجسدها النحيل وسط الفراء حديثها الذي يدل على قلقها البالغ على صغيرتها.

. لقد أخفتيني كثيرا يا عزيزتي خاصة عند سماعي صوت انغلاق الأبواب وتأخرك في المجيء، أين كنت طوال هذه المدة؟

. آسفة جدا يا جدتي على الانزعاج الذي سببته لكي، لقد كنت عند كاسب في الكوخ!

. أهناك خطب ما أخرك عن العودة؟ ما زالت الجدة أسيرة القلق الذي أحاط بها في ظل غياب حفيدتها الوحيدة، فهي كل ما تبقى، تضيء بوجودها عتمة الحياة.

جلست أريانا على السرير الآخر المقابل لجدتها، الإجهاد البالغ جليًا على وجهها، أخذت نفسًا عميقا لتستطرد كلامها.

. نعم.. هناك خطب ما ولكنه لا يستدعي القلق، لقد عاني هذا الغريب إعياء شديدا، كاد يودي بحياته، لم أستطع السيطرة على الأمر وكنا سنفقده، لولا تدخل كاسب.

اجتاحت المخاوف الجدة مرة أخرى، وخاصة أنها تعلم بأن كاسب لا يحب تواجد أحد معه في الكوخ سوى أريانا التي تذهب له خلسة في أوقات متفاوتة.

. أي غريب!

سردت أريانا ما حدث منذ وصولها إلى كوخ كاسب، بدأت الجدة تستدرك الأمور، ويزول عنها الهلع، ولكن ما لبث الهلع يندثر حتى بدأت حدته تزداد مرة أخرى، هناك شيء ما يجب أن تخبره لحفيدتها، لقد جاءت وقت الحقيقة التي طالما أخفتها ولم ترد الإفصاح عنها، تتوالى الأفكار والتساؤلات في ذهنها، لقد آن أوان الحقيقة، لا مفر منها، ولا سبيل إلى إخفائها أكثر من ذلك.

. أنصتي يا عزيزتي، سأطلعك على بعض الأمور المهمة.

التفتت أريانا إلى جدتها التي على أهبة الاستعداد للحديث عن أمر هام، ملامح جدتها بدت مضطربة قليلا وصارمة.

القابع وراء البحار المظلمة يترصد لنا منذ آلاف السنين، يتلذذ بضعفنا، يضطرب من قوتنا وسمونا على الظلام، يخشى كل ما هو حق، يكره البشر ويحب استعباد أرواحهم، يوهمهم بالسعادة الزائفة عند أتباعهم خطاه، ينشر الخوف واليأس الدائم، الكذب والخبث أشهر أسلحته التي يناور بها، أقنع آلهة الأوليمب بضرورة الحد من قوة ديلف المتزايدة، يتلو الشائعات والأكاذيب على مسامعهم، يقنعهم بمكره أن استغلال نقاط ضعفه والعمل عليها ستكون الطريقة الوحيدة لتوقف زحفه على الأرض وامتلاكها، يخبرهم بأنه يوم ما لن يكتفي بالأرض وسيجعل من نفسه إله وستسول له نفسه أن يمتلك الأوليمب أيضا، مما أثار سخط الآلهة وامتثلوا لآرائه، أعطوا له السماح لفعل ما هو صائب من وجهة نظره، ليتصرف في هذه القضية كما يرى.

أغوى بمكره أحد أجمل الخادمات الحسناوات اللاتي كان يخدمن السيدة فاليريا، أعطاها قنينة صغيرة ستجعل سيدتها عجوزا شمطاء قبيحة، حتى يتثنى لهذه الخادمة الصهباء من إزاحة سيدتها عن طريقها، وتتمكن من إغواء ديلف لتصبح هي السيدة، فعلت كما أخبرها تماما ووضعت محتوى القنينة بداخل حوض حمام سيدتها الساخن الذي أصرت في هذا اليوم أنها ستجهزه بنفسها دون باقي الفتيات لما تكنه تجاه سيدتها من حب، حب زائف بغيض قاتل، مرضت سيدتها التي كانت تجود عليها بعطاياها وبذخ، لتصبح طريحة الفراش، والخادمة تجد الطريق قد خلا لها، تتسلل نحو قلب ديلف تريد خداعه ووقوعه في حبها، ولكن ديلف كان مخلصا لفاليريا حتى وهي على فراش الموت، زجرها ورمقها نظرة مقيتة يزدريها، تعاود كرتها كثيرا أملا في أنه بات ضعيفا، لتجد نفس رد الفعل في كل مرة بل وأقوى من سابقتها ويهددها بأنه سيذبحها إذا فكرت في القيام بهذا

الأمر مرة أخرى، ليجدوا الخادمة قبل أيام قليلة من وفاة فاليريا مشنوقة في الحمام الخاص بسيدتها، الخيانة أخذت بثأرها من الخادمة، ورفض ديلف لها كان الحبل الذي لفته حول رقبتها لتنهي حياتها بكلتا يديها الآثمتين.

جن جنون ديلف بعد وفاة السيدة فاليريا، أصبحت طباعه سيئة وقاسية، يجالس السحرة والمشعوذين بدلًا من الأدباء والشعراء الذين جالسهم طيلة حياته، يطلب منهم تتبع روح زوجته التي احتفظ بجثمانها في مخبأ سري، أشاروا عليه بأن روحها تكمن وراء البحار المظلمة في قبضة هايدس، لتشتعل رحى الحرب بين ديلف وهايدس، لقد نجحت الخطة كما رتب هايدس، تقود ديلف أقدامه نحو البحار المظلمة مع جيشه الجبار والمشعوذين الذين اختفوا فجأة أثناء المعركة، ليتركوه في المعمعة مع الوحش الذي كان في صفه أثناء القتال، مجنح ضخم، تتردد الشائعات حوله، البعض يروي أنه وحش روضه المشعوذون من غابات الإيوالا منبع السحر والشعوذة، والبعض يخبرنا بأنه ثورجن أبن ديلف الذي تم تحويله إلى وحش على مرمى ومسمع من والده ديلف بواسطة هؤلاء المشعوذين ليصبح وحشًا يساعده في الحرب، هايدس كان متأهبا لهذه المعركة بل ويريدها، لقد كان يكره ديلف وقوته، ليطيح بديلف الذي عاد به جنوده المنهزمين جريحا، لتنطوي صفحة حياة ديلف، ولم نسمع بخبر عن الوحش الذي كان بصحبته منذ المعركة الدامية، تدارك سبايوس ابنه الأمور وظل متماسكًا بعد وفاة والده، يقود شعبه بالإخلاص ويعيد إلى شعبه قوتهم بعيدًا عن المعارك الخاسرة والبحار المظلمة.

ولكن هايدس لم يكتف بهذا..

يترصد لنا ويتحين اللحظة المناسبة للانقضاض تحت أي مسمى وفي ظل أي ظروف أو أكذوبة يختلقها.

ظلت اللعنات المتوالية تتدارك جميع من حكموا الجزيرة، ينتقم من سلالتنا من الحكام، كل حاكم يقتل في ظروف غامضة، بالكاد نجي البعض ومات ميتة عادية، وصولًا إلى زوجي زاك الذي كان في جولة يتفقد المدن الخاضعة لجزيرتنا، تم قتله بسهم اخترق قلبه وسط حراسة مشددة من رجاله، لم يتمكنوا من اقتفاء أثر السهم، عادوا إلي بجثمانه، كانت فاجعة كبيرة بالنسبة لي، طيبنا جثمانه الذي غطت عينيه عملتان فضيتان في مركب مزينة بزهور أيريس(*)[4]، يقف الجميع مودعين حاكمهم المخلص على شواطئ الجزيرة المطلة على بحر الكيبا، لتنطلق المركب الشراعية وسط مياه البحر، مطلقين سهم مشتعل صوب المركب لنشيع جثمانه إلى الأبد، وسط المراسم الملكية التي اعتدنا عليها منذ القدم.

تولي كاسبيان خلافة الجزيرة بعد مقتل زاك في سن صغيرة، توالت في أيامه الأولى الأحداث المزعجة التي قوضت صفوفنا، حيث بدأت الصراعات والانشقاقات بالمدن والأقاليم التابعة لنا وانشقت جيوشها ليعتلوا حكمها وينفردوا بالسلطة دون الخضوع لنا، ولم يتبق بجانبنا إلا بعض الرجال المخلصين لدرات الذين عملوا على جمع شتات بعض جيشنا الذي تصدع، وتوجيه كاسبيان ووضعه على الطريق الصحيح للحفاظ على الجزيرة لتكون آخر ما تبقي لنا من قوة، هذه اللحظات كانت ما إلا البداية لما خضناه الآونة الأخيرة.

ترقرقت الدموع من أجفان الجدة لتنظر إلى حفيدتها تتفرس وجهها، أشفقت أريانا عليها، وتركت مقعدها لتحتضن جدتها، التي ما زالت تخفي شيئا ما.

[4] زهرة أيريس: هي زهرة السوسن، تسمى بأيريس في الميثولوجيا الإغريقية نسبة إلى الآلهة أيريس آلهة قوس قزح، ويشار إليها بهذا الاسم نسبة لتعدد ألوان أزهارها وفصائلها، من ألوانها: الزهري والأبيض والبنفسجي والأزرق والأرجواني والأصفر.

. لا عليكي يا جدتي كير، نحن بخير الآن.

أشاحت بوجهها الممتلئ بالدموع، عازمة على إفضاء ما بداخلها، العيش في الوهم قاس لا يرحم، حتى وأن كانت الحقيقة مرة بعض الشيء.

. زاك ليس جدك يا أريانا.

امتقع وجه أريانا وألمت بها غصة في حلقها ألجمتها وتقلصت عضلات وجهها

. إنها الحقيقة التي أخفيتها عنك دوما وعن الجميع، كنت نائمة ليلا وشعرت أن شيئا ما يقترب مني، رجل على هيئة زاك، أفقت لألتفت حولي لم أجد شيئا، حاولت النوم مرة أخرى لأجده على مقربة من مخدعي، كنت أظن أنني أحلم، حتى أقترب مني وقبلني وبعدها لم أشعر بشيء إلا في الصباح عندما وجدت نفسي مجردة من ملابسي وبجانبي رسالة وقطعة معدنية والقلادة التي كان يرتديها زاك التي توارثها حكام الجزيرة وكان من ضمنهم، لم تأت مع جثمانه فظنناها فقدت، ولكنها وجدت طريقها إلي مرة أخرى، ظننتها روح زاك ما زالت تحاوطني، لأجد رسالة مطوية بجانب القلادة:

لقد أحببتك كثيرا وأردت قضاء ليلة رائعة معك منذ زمن بعيد يا محبوبتي، أيتها البشرية الفانية الجميلة، هذه القطعة المعدنية ستقي شعبك وتحميه طوال تواجدها في المعبد المقدس، ضعيها في قبضتي هناك، هذه هدية لكِ، القلادة كانت ستفقد ولكني احتفظت بها من أجل شعبك، لقد أحببتهم من أجلك، أبعث قبلاتي وحبي لكِ من قلب البحار.

لم أتردد في تنفيذ ما أخبرني به، توجهت إلى المعبد المقدس وقابلت الكهنة واختلقت قصة عن هذه القطعة المعدنية بأن زاك تركها لي

قبل وفاته وأخبرني بأن أضعها في قبضة تمثال الإله بوسايدون، قاموا بوضع القطعة المعدنية بقبضة التمثال وما لبثوا أن وضعوها توهجت العصا وتمددت لتتحول إلى ذات الثلاث أسنان، جزء من قوة بوسايدون الإلهية المفرطة، نشرت الوهج حتى وصل إلى ما خارج الجزيرة، واختفى الوهج بعد لحظة انبعاثه، ليصبح درعا خفية يحمي الجزيرة من هايدس، لا يستطيع الاقتراب منا هو وجحافله الملاعين، لقد كان ينتوي العزم لإبادتنا عن بكرة أبينا، تملك الاندهاش كهنة المعبد المقدس، ابتهلوا جميعا بما حدث، مؤكدين على أنها معجزة ومباركة من الآلهة لحمايتهم من أي خطر محدق قد يصيبهم، لقد أخفيت عنهم حقيقة الأمر، خوفا من العار الذي سيلاحقني، حتما كانوا سينعتونني بالعاهرة وسيصيب كاسبيان الأذى وسيذهب حكم الجزيرة لأحد آخر، كان سيلازمنا العار طوال حياتنا وتنتهي سلسلة حكمنا للجزيرة إلى الأبد بلعنة التاريخ لنا، مرت الأشهر حتى شعرت بشيء ثقيل يرهقني، شيء كالحجر يتحرك بداخل رحمي، لقد كان طفلا من بوسايدون، إنه والدك زاك.

تقدمت السنوات وتقدم زاك في العمر وتتقدم معه مهارته وذكاؤه الواضح جدا، يشد على يد كاسبيان ويساعده في تدبر أمور الجزيرة برفقة الرجال الصالحين وأولادهم الذين ساعدونا في قيادة الجزيرة، لا يطمحون إلى منصب أو سلطة، مخلصين لذكرى زاك.

أحب زاك شقيقة زوجة كاسبيان الصغرى، والدتك المحبوبة هلين(*) [5]التي توفت أثناء ولادتك، لم ينصاع لآراء من حوله ولم يتزوج بعد وفاتها، حتى يولي اهتماما بالغا في تربيتك ومراعاة لمشاعرك لتتربى

[5] هلين *: اسم أصله يوناني يعني المشرقة أو المتألقة وهو اسم لابنة زيوس (زفس أو زوس) في الميثولوجيا الإغريقية.

بصحبة والدك ونيكوس البشع، قبل ميلادك بعامين ليلة قمر فاليريا حيث نحتشد لتخليد ذكراها على شاطئ جزيرتنا، رأى زاك شيئا يقترب على سطح مياه بحر الكيبا، حتى لاح في الأفق زورق خشبي صغير، صوت طفل رضيع يئن يخرج منه، أنكب زاك على وجهه وأسرع لاهثًا نحو الزورق يتفقد ما بداخله، ليجد نيكوس كما اسماه والدك.. مقمطًا بأقمشة كتانية ومغطى بالفراء.

تعجب زاك من هذه الفعلة الشنعاء التي أستنكرها وحمله بين أحضانه متسائلاً:

. أي رحمة هذه، أهم خائفين عليه من الصقيع الذي قد يفتك به ووحوش البحر، أم أن الصقيع ووحوش البحر هم الذين يخافون قساوة قلوبهم.

يعتني بكما سويا، ويقرب نيكوس منه ليصبح من رجاله وابنا له يرشده إلى الصواب ويحظى برعايته، طمع نيكوس في حب زاك له وأراد أن يتزوجك، جمالك أغواه ورغب به.

تنهدت أريانا واكفهرت ملامحها وتثاقلت رأسها جراء الذكريات الموحشة والصدمات المتوالية التي تلقتها للتو تستطرد حديث جدتها بنفسها محملة بالأوجاع.

لم يتغلب على رغبته بي، ولم يتقبل فكرة رفضي له، لم أفطر قلبه ولكني لم أرده يوما أو أفكر به كزوج لي، كان أخا ليس إلا، حتى أصبح وحشا جامحا يريد الانتقام منا بسببي.

انقلبت الطاولة وتبدلت الأوضاع فبدلا من أن تهون على جدتها، احتضنتها كي تجفف دموعها كما فعلت كثيرا، أطرقت برأسها لتستكمل حديثها في وجل:

. ويل لك يا نيكوس جلبت لنا الدمار، ولم تقدر ما فعلناه لأجلك، باع نفسه لهايدس، أخذ عصا بوسايدون من المعبد المقدس خفية، مستغلًا تأمل رجال المعبد المقدس أعلى قمة الجبل، الذين اكتشفوا سرقة العصا عند عودتهم، أخذها في قارب خارج امتداد حمايتها الذي يعلمه حيث هايدس وجيشه المتأهبين لمهاجمتنا، أخذونا على حين غره، باغتونا بهجومهم المفاجئ، أطلق الجنود من أعلى أبراج مراقبتهم المنتشرة حول الجزيرة أجراس الإنذار ولكن لم يداهمنا الوقت لنصد هذا الهجوم المفاجئ، لم نتمكن من الصمود أمام غوغائية جحافله وشراستهم، حاول كاسبيان وزاك حمايتنا ولكن قوته كانت تفوق تحملنا، تقهقرنا بعد الخسائر الفادحة والأرواح التي فقدناها في هذه الليلة الدامية نحو الكهف، لنحتمي جميعا به نأمل ألا يجد طريقه إلينا بالداخل، انغلقت الأبواب لنسمع أصوات هايدس وملاعينه تتراجع وتخفت أصواتهم ليدب الاطمئنان صدورنا بعد الذعر الذي تملكنا، كاسبيان بدأ يطمئن على شعبنا ويأمر بمداواة الجرحى والمصابين، قبل أن يكتشف أن أولاده الرجال الثلاثة وزوجته في عداد الموتى فانتحب كاسبيان لفقدانهم وكاد أن يقتل نفسه ولكنه القائد ورباطة جأشه يجب أن تظهر جليا في وقت كهذا، حول اهتمامه للبحث عن زاك، بحثنا عن زاك وسط الحشد ولكن لم نجده، فهمنا في هذه اللحظة سبب تراجع هايدس، لقد كان زاك بحوزته وهذا في حد ذاته انتصار له، ينتقم منا بسبب العداء الأزلي، وينتقم من أخوته الآلهة وبوسايدون، بخطف ابنه الذي أدرك حقيقته من خلال هذا الغبي الخائن . نيكوس .

أرقت الدموع أجفانهم يذرفون الكثير منها حتى انكفأ كلتاهما في مخادعهم وغليهم النعاس، يخفف عنهم ويربت على أجفانهم الملتهبة بكل حنو.

12

الأسترو

أخذت أريانا قسطا من الراحة في اليوم التالي..

باشرت بعد راحتها مداواة بعض من السكان والاطمئنان على سلامتهم بعض منهم أصابه السعال بسبب الطقس الربيعي فأعطتهم بعض الأعشاب لتقليل حدته، تفكر في هذا الغريب الذي لم يبرح مخيلتها، تفكر في الذهاب لتفقد أحواله هو وكاسب ولكن الإرهاق أعياها.

علي الجانب الآخر من الجزيرة، جلس كاسبيان والغريب يتناولان الطعام معا، بعد استيقاظهم متأخرا في الظهيرة.

. أنا ممتن جدا، وأدين لك بحياتي التي أنقذتها من الموت. حاول الغريب أن يعزز امتنانه بهذه الكلمات.

هز كاسبيان رأسه بابتسامه خفية

. يجب علينا أن نعطيك اسما.

حاول الغريب تذكر اسمه الحقيقي، ضغط براحته على جبهته وأطرق برأسه إلى الأسفل يحث نفسه على التذكر.

. هذا أمر طبيعي لا تضطرب، روحك كانت ضالة لوقت ليس بالقليل، ستتذكر كل شيء في حينه.

. آخر شيء أستطيع تذكره، أنني كنت أشعر بالدوامات والفراغات التي تلاحقني منذ وقت طويل، وجسدي يقبع في أعماق المياه ومن بعدها أحلام أخرى عن وفاة والدة لي وفتاة كنت أحبها على ما أتذكر لأفيق وأراك ساقطًا على أرض الكوخ وهذه الفتاة أمامي، لن أتذكر شيئا بمفردي إلا أذا أخبرتني بالذي حدث معي وإنقاذك لي، أنا لا أدري حقا ماذا يحدث لي ولا أستطيع تذكر إلا القليل من الأشياء، أخبرني ما الذي يجري معي، أرجوك.

. قوة الجادوكاي ليست هينة أنها أعادت لك روحك الضالة بين الفراغات التي كنت حبيسًا لها، هذا كان اختبار صعب بالتأكيد بالنسبة لك، أستطيع أن أهنئك، أنك خضت أول اختبار على أرض الجزيرة بكل نجاح، ازدادت ابتسامة كاسبيان لهذا الغريب.

ولكن تبدد امتنان يامن وكلماته المهذبة فقد رج كيانه سماعه لاسم الجادوكاي، ما هذا الذي أسمعه؟ هذا لا يصدق، ما قد رأيته سابقا كان حقيقيا، إذن فأنا هنا لغرض ما؛ ليس محض صدفه!، يجب أن أكتشف ما يحدث لي أو أجد وسيلة للهرب.

لاحظ كاسبيان عبوس الغريب وشروده ليرد انتباهه باسم أطلقه عليه بصوره مفاجئة..

. ليكن اسمك من الآن فصاعد أسترو(*)[6].

امتقع وجه المسمى حديثا بأسترو من الغيظ واستأذن كاسب، بحجة استنشاق بعض الهواء بالخارج، رمقه كاسب بنظرة أخجلته ولكن هذا لم يثنيه عن الانسحاب مؤقتا من هذا الهراء على حد تصوره.

[6] أسترو (*): عملاق عظيم فائق أحمر وبعد ثاني أكبر نجم موجود في مجرة ماجلان الكبرى التي تتبع مجرة درب التبانة.

جلس خارجًا على جذع شجرة قديم بجانب الكوخ يحدث نفسه يحاول فهم ما يخوضه الآن، يريد أن يعلم حقيقته.

إذن الآن اسمي أسترو هذا جل ما أعرفه، بالإضافة إلى بعض الذكريات المشوشة والأحلام الغريبة التي كانت تراودني منها ما قد يكون حقيقة قد حدثت لي ولكن الوضع الراهن لا يمكنني من تذكرها والآخر يرتبط بهذا المكان العجيب، حتى اسمي لا أستطيع معرفته، ما هذا العبث الذي يشلني!

وهذا الجادوكاي الذي أيقظني ورأيته سابقا يحول شخصا لا أعرفه إلى وحش ينفث نيرانا..

نظر إلى الأشجار من حوله التي بالكاد يرى السماء من خلالها، يمشط شعره بيده المرتجفة وينظر إلى ملابس كاسبيان التي يرتديها متيقنا أنه لم يرتد مثل هذه الملابس من قبل، حسنا لنرى أسترو هذا سيصل بي إلى أين في نهاية المطاف، حتى أتمكن من معرفة حقيقتي وأجد وسيلة للهرب من هذا المكان وهؤلاء الأشخاص المريبين.

ظل هكذا حتى اختفت أشعة الشمس المتسللة من بين الأشجار الضخمة، ليعلم أنه لا مفر لديه هذا اليوم إلا العودة ثانية إلى داخل هذا الكوخ لحين إشعار آخر، ليلملم شتات أفكاره ويأخذها بالداخل معه، ليجد العجوز نائما، يطفئ نور المشاعل، ويذهب إلى النوم لعله يستطيع أن يتذكر شيئا، أرخى جسده المنهك وأراح رأسه المشتعلة بالأفكار على وسادته القطنية يتوسل إليها أن تكون رحيمة به ولا تعاوده الأحلام التي تبعثر كيانه، ليودع أول يوم له باسم أسترو الذي لا يتمنى أن يناديه أحد به مرة أخرى.

13

حلم آخر يطارده

أقع بداخل سواد عظيم يبتلع جسدي ليدفعني من هوة تلو أخرى تلو أخرى أيضا، أسقط آلاف المرات بداخله، داخل دوامات لا حصر لها، فراغات تتقاذفني كالدمية بين أصابع فتى مستهتر، رحالة يجوب العالم أجمع ولكن ليس بملء إرادته بل قسرًا وإجبارا..

مشارف حرب دامية تحفر القبور لخائضيها ويلوح غبارها في الأفق، الرماح المسننة تصل إلى السماء تهاجمها وتطعنها شر طعنة، تسيل الدماء من جوف السماء، تغطي أجساد طاعنيها.

يخربش أظافره أعلى قمة جبل أسود مظلم، يهوى بأجنحته على حاملي الرماح الغوغائيين مشوهي الهيئة ومتوحشي البنية، لتخرج أجنحته رجالا يلتحمون مع المتوحشين.. كنت من بين الرجال الذين انبثقوا من أجنحته..

أخرج مع هؤلاء الرجال في زى محارب، محارب متوجس يهاب الحرب والمواجهة، يخشى لهيب المعركة وأصوات قتل الرجال، أتخلى عن سيفي ودرعي لأهرب بأقدام مرتعشة.

أنظر إلى الوراء، كل رجل يُقتل روحه تطاردني، تتسارع نبضات قلبي الهارب.. حتى أتوقف لاهثًا لأرى أقدامي تنزف الدماء، أكتشف أنني أجري على أشواك.. تعاقبني على جبني وهربي من المواجهة.. يقترب بأجنحته نحوي، عيناه مشتعلتان متوهجتان.. يقف أمامي وهو يهوي

بأجنحته.. يسمو بعنفوانه فوق الأشواك، عيناه تصرخان من الخزي الذي لاحقني جراء فعلتي الخسيسة، يرى أنه لا فائدة له في، نظرته ألجمتني.. حاولت الفرار، الأشواك تشبثت بأقدامي وتجذبني لأسفل، لقد أصبحت الآن عدوًا له وللأرواح التي تطاردني كل ثانية يُقتل فيها أحدهم، ينفث نيرانه التي تضطرم بجسدي ليشتعل دون أن أحترق بنيرانه.. تطهر جسدي من مخاوفه، أمتطيه وأعود إلى المعركة، لأرى نفسي في قلبها أحارب بكل عنفوان، محارب من الطراز الفريد يبعثر أشلاء ضحاياه.. ننتصر ونرقص على جثامين حاملي الرماح المسننة.

14

شاطئ الموتي

استعدت اريانا في الصباح الباكر لزيارة كاسبيان، قبلت جدتها النائمة وتوجهت نحو الإسطبل ليصحبها جوادها إلى الكوخ، تتجاوز الأبواب العملاقة المفتوحة منذ لحظات، لتتفاجأ بكاسبيان ووراءه الغريب على متن جواد كاسبيان، اقتربت نحوهم، وتدلت كما تدلا هما أيضا من على ظهر الجواد ليتصافحا، بدأ كاسبيان الحديث، يوجه الكلام إلى أريانا التي أخبرها بأن أسترو أصر على أن يذهب في جولة، وطلب منها أن تتكلف عناء مشقة هذه الجولة، بينما يتثنى له الذهاب لزيارة والدته كير، أطرقت أريانا برأسها، موافقة على اقتراح كاسبيان الذي ترك جواده كي يمتطيه أسترو أثناء جولته التي سترافقه بها أريانا.

أنطلق كاسبيان صوب الكهف ليعبر نحو بواباته، ليدير أريانا وأسترو ظهور الخيل متوجهين نحو دريك تاون القديمة.

عبروا الشجيرات المقابلة للكهف لتكشف لهم أراض واسعة على جوانبها أشجار التوت والتفاح وأشجار أخرى منتشرة على طول الطريق ومجرى مائي صغير يدل مصدره على أنه ينبع من نهر ديلف يروي هذا المنبع الحقول الواسعة ولكنه قد جف منذ دمار السد معتمدين في زراعة الحقول على مياه الأمطار الغير منتظمة بكميات أقل من الماضي بالكاد تكفيهم، خلف الأشجار المتعددة وفي الأفق قصر كبير خلف

الحقول، أحس أسترو بألفة عجيبة نحو هذا المكان، لقد راوده في أحلامه، هذا أيضا حقيقة بالفعل، ذهل أسترو عند رؤيته لهذا القصر، أحست أريانا بفزع يامن الغير مبرر عند رؤيته لهذا القصر، أخبرته بأن هذا القصر قصر الحاكم الذي يحكم الجزيرة، وتركوا العيش به منذ أن اضطرتهم الظروف اللجوء إلى الكهف.

استكملوا رحلتهم ليعبروا شجيرات أخرى، تكشف لهم عن شاطئ جزيرة دريك تاون المطلة على بحر الكيبا.

ترجل أسترو وأريانا نحو الشاطئ، تاركين أخيلتهم يرعون من حولهم.

أهلا بك في دريك تاون الحقيقية.. في نبرة حزينة متقطعة تتلفت حولها لعل وعسى أن ترى شيئا يسر ناظريها، ولكن لا مجال إلا للدمار، في الماضي كانت تلك الرقعة بامتداد الشاطئ بيوتا جميلة خشبية الشكل متراصة جنبا إلى جنب بتناسق رهيب، أكثر ما كان يميز هذه المنازل المنحدر الصخري الذي ساعد على تكوينها بهذا المنظر الخلاب الرائع، فالمنازل تبدأ من فوق المنحدر الصخري وتتدرج مع المنحدر حتى تصبح المنازل منخفضة بتساوي المنحدر مع أرض الشاطئ في الارتفاع، تبدأ المنازل يمينًا متراصة في طابقين فوق المنحدر وكلما انخفض المنحدر زاد ارتفاع الأدوار لتتساوى مع باقي المنازل الكائنة فوق المنحدر فتجد منازل ذات ثلاثة وأربعة طوابق وصولًا إلى خمسة طوابق في شكل يبهر الأنظار.

ليلا تضاء المشاعل لتبدو المنازل مدينة مشتعلة على ضفاف الشاطئ في منظر شديد التألق والروعة، ينعم أهلها بالرخاء والسلام، لم يتوقع أحد يوما أن تصبح بهذا الشكل الذي يدمع العين ويدمي القلب، حطاما ورمادا بكل الأنحاء.

هذه حقيقة أخرى أثارت حفيظة اشتعال أفكاره المتوالية، يطوف ببصره، ليتذكر منظر هذه المنازل وهي تشتعل في أحلامه وجثث الموتى تملأ الأرض أسفله ويمسكون أقدامه، كاد أن يجن لولا تماسكه أمام أريانا، حتى لا ترتاب منه، يشخص ببصره نحو الشجيرات التي خلفه، تهتز الشجيرات أمامه رغم سكونها ليزداد ارتعاده، لقد هرب بها يوما قبل.....

. يجب أن أكف عن هذا، لم تكن هذه إلا هلاوس، وما زلت أعانيها، سيزول كل شيء، هذا هراء.

هراء مقيت يفتت روحه ويزيد الصخب الداب في ذهنه، طلب من أريانا العودة الآن إلى كاسبيان، متحججا بطول الجولة وحاجته لأخذ قسط من الراحة.

أذعنت أريانا إلى طلبه فهي الأخرى قد أتعبها هذا المنظر الذي تمنع نفسها من رؤيته، لا تحب التردد إلى هذا المكان، عائدين أدراجهم مشردي الذهن، أريانا إلى الكهف وكاسبيان وأسترو إلى الكوخ، يأكلان طعامهما في صمت رهيب، يمتنع أسترو عن تبادل النظر مع كاسبيان الذي ذهب نحو فراشه في صمت، ليطفئ أسترو المشاعل ويخلد إلى فراشه بكل هدوء متوسلًا وسادته بأن تكون رحيمة به هذه الليلة وإلى الأبد.

15

المعبد المقدس

تثاءب أسترو بانزعاج فقد قطع نومه المخلخل المملوء بالهواجس هذه الليلة صوت اصطكاك أخشاب بالخارج، يطوف ببصره في أرجاء الكوخ ويبحث عن كاسبيان فلا يجده، يزيل غطاءه عن جسده هاجرًا فراشه ليفتح باب الكوخ، يتتبع أثر الصوت الذي أيقظه، كاسبيان يقطع بعض الأخشاب، يصنع بعض الحطب الذي يستخدمه لصنع الطعام، ألقى أسترو التحية على كاسبيان ويعرض عليه المساعدة، أمتنع كاسبيان عن المساعدة لأنه قد فرغ من تقطيع الأخشاب وكلفه بمهمة إعداد شراب ساخن ليتناولاه سويا.

دلف أسترو إلى داخل الكوخ ليقل بعض الأواني الفخارية واتجه نحو الموقد بالخارج، ليضع الماء على القدر وبعض من الأعشاب التي لا يعلم ماهيتها وإنما هي حسنة الرائحة وبالطبع سيكون المذاق هكذا، رائحتها تريح توتر الأعصاب قليلاً، نضح الماء بغليانه ثم صبه في كؤوس خشبية قد ذهب إلى الكوخ وأحضرها أثناء تركه للقدر بالخارج، ووضعها على المنضدة ونادي كاسبيان لتناول هذا الشراب الشهي سويا.. ليتبعه كاسبيان ويجلس أمامه.

عقد كاسبيان حاجبيه وافغر فاه عند تذوقه للشراب الذي أعده أسترو ليبدأ حديثه:

. آووه، لقد بدأت في تعلم بعض الأشياء فعليا.

. هل أعجبك؟

. بالنسبة للمرة الأولى فهو رائع حقا.

. أريد تعلم المزيد.

رفع كاسبيان عينه بلهفة والكوب ما زال في فمه ورأسه موجهة تجاه أسترو الذي بدا واثقًا من حديثه بل وبدا عليه أنه جاد أيضًا ليخفض الكوب من يده ويضعه جانبا مستفهما من أسترو:

. يجب أن تكون مقتنعا قبل البدء في شيء.

. مقتنع!

. نعم مقتنع بمدى أهمية ما أنت مقدم عليه.

. أريد معرفة ما الذي أخوضه.

. حياة قد تبدأ أو تنتهي لجميعنا.

. وما دخلي بهذا؟

. لا أعلم ولكنك صرت جزءا منه بل وجادوكاي الحرب.

أعتلى السخط وجه أسترو الذي غضب بشدة ورمق كاسبيان بشرر.. مقاطعا حديث كاسبيان في ضيق:

. أنا لست أسترو ولا أمت إليكم بصلة، لست بجادوكاي لعين، حتى وإن لم أعلم من أنا، ولكني متأكد من كوني شخصًا عاديًا لا أعي ما تقوله، بعيدا كل البعد عن أي حرب لعينة قد أتورط بها، أريد العودة من حيث أتيت، دعوني وشأني.

لم يحرك كلام أسترو ساكنا لكاسبيان الذي أردف بكل هدوء:

. تريد معرفة الحقيقة والعودة.. إذن فلتتأهب لزيارة المعبد المقدس لترى الأمر بوضوح هناك.

رد أسترو الذي بدا متأهبا ومتحمسا لحديث كاسبيان:

. حسنا.. إن كان ذلك سيخلصني من هنا.

ترك كاسبيان مقعده والشراب الذي لم يكمله وفتح باب الكوخ ووراءه أسترو الذي تبعه في عجل وأغلق الباب خلفه، خطى سريعة أحضرت الجواد ممسكًا أسترو بلجامه.. لم ينتظر حتى يؤتيه كاسبيان.. ليمتطيه كاسبيان مكفهر الوجه تجاه هذا الكهف المقيت الذي لم يستسغه، انطلق بجواده وخلفه أسترو نحو الكهف المقدس، ليجد أسترو ضالته.

الضيق اجتاح صدر كاسبيان أثناء توجهه للمعبد المقدس، يلوم نفسه تارة على إنقاذه لهذا الأسترو كما ظن في البداية، وتارة أخرى لعدم حمل هذا الرجل لأي ملمح من ملامح المحارب الذي سيساعدهم في شيء.. معتوه قليل الصبر.. متوجس.. ثباته الانفعالي متدني، لا يتذكر شيئا عن ماضيه بل ويريد الهرب من الحاضر المتواجد به وأصبح جزءا منه.. لقد بدأ يشك من الأساس في صحة كونه هذا النجم المنتظر، يعنف نفسه على تسرعه وتسميته أسترو.. هذا الشخص ليس جديرًا بهذا الاسم.. لتعاوده الأفكار، إن لم يكن الأسترو لمَ أنقذته قوة الجادوكاي.. كانت أهلكته قبل أن تمسه.. أو قد يكون مجرد محظوظ كتبت له الحياة صدفة، ظلت الظنون تصب غضب كاسبيان على نفسه.. حتى لاح في الأفق الجبل الذي يحمل في جوفه المعبد المقدس، ترك جواده بالأسفل على ضفاف نهر ديلف أسفل الأشجار.. وصعد أدراج المعبد الحجرية في خطوات رتيبة مله تلعن خطوات هذا الرجل الآخر الذي يعتلي الأدراج.. قافزا إياها اثنتين..

ليصل قبل كاسبيان.. يعجل قدومه بيده المتشابكة الأصابع يرخيها نحو كاسبيان ويقبضها نحوه مرة تلو الأخرى.

حتى وصل كاسبيان الردهة التي أمام المعبد.. ذات السقف الحجري والأعمدة التي تصل حتى أعلاها، يعبرون الباب الذي تزين بجمال نقوش هذه الأعمدة.

ضم كفيه وعصاه الخشبية معهم وأومأ برأسه تجاههم، يلقي التحية على الكهنة مقلدًا له في إشاراته تابعه.. فقد خرج كهنة المعبد لاستقبال ضيوفهم يردون لهم نفس التحية وأثناء تبادل هذه الإشارات التي تنم عن الاحترام وقدسية هذا المكان، شعر نساك المعبد بقوة خفية.. تطوف أجواء المعبد، تزوغ أعينهم في الفراغ من حولهم، ينظرون نحو الباب فلا يجدون أحدا.. حتى أجساد الآلهة المتراصة لا تنذر بوجود شيء على غير المعتاد.. ليشخصون بنظرهم نحو هذا التابع لكاسبيان.

طلب كاسبيان أن يختلي بكهنة المعبد فأبدوا موافقتهم العاجلة، أشار كاسبيان على أسترو بالبقاء مكانه حتى يعود إليه، توارى كاسبيان بصحبة كهنة المعبد الموقرين داخل إحدى الغرف الخاصة بهم، يسمع أصوات النقاش تتردد بالخارج ولكن لا يفهم من صداها فحوى حديثهم، يتوه نظره في التماثيل الرائعة التي تجسد كل إله من الآلهة تجسيدًا دقيقا للغاية.. فالرجال منهم تهابهم بمجرد النظر لأعينهم وملامحهم وجسدهم ويفتنك النساء منهم.. ظل يسترق النظر إليهم.. ينظر نحو رجالهم بحذر.. ولنسائهم بنعومة ما تلبث إلى أن تتحول رهبة من أنظار رجالهم المحدقين به كما ظن، حتى خرج كاسبيان والأربعة كهنة المبجلين وقد أقبلوا عليه بصمت، وأشعل صمتهم ريبته وجزعه.

16

العداء الأزلي

لقد أطحنا بأبينا كرونوس قالها الآلهة المعتلين عروشهم المتألقة أعلى السحاب بالأوليمب، منتشون بانتصارهم الساحق على العمالقة والسيكلوبس أنصار كرونوس وأنداده في القتال.

فقد ابتلع كرونوس أطفاله جميعا خوفا منهم ومن تفوقهم عليه بسبب ما فعله مع والده أورانوس الذي أزاحه كرونوس عن عرشه وتفرد به لتأتي النبوءات التي قيل فيها إنه سيأتي أحد من أبنائه يطيح به كما فعل مع أورانوس لذلك قرر ابتلاعهم جميعا.

الأمر الذي أثار سخط ريا زوجته التي وضعت ابنها زيوس خلسة وقامت بخداعه، أعطته حجرًا ملفوفا بالأقمشة التي أبتلعها بدلًا من طفلها، وقامت بتهريبه بعيدًا عن أنظار كرونوس ليشتد عزمه ويأتي لقتال والده ويشق بطنه لينتزع أخوته الخالدين من أحشائه لينشب القتال الذي ظفر به زيوس وأخوته على حساب كرونوس وأنصاره.

اتخذ زيوس حكم السماء وصارت قوته متمثلة في البرق والرعد واتخذ الصاعقة سلاحًا له وصار ملك الآلهة والسماء وأعطي للباقين من الآلهة أشياء أخرى لحكمها وكان على رأسهم بوسايدون الذي اتخذ حكم البحار.. وهايدس العالم السفلي.. وأصبحت أثينا إلهة الحكمة.. وأريس إله الحرب والانتقام.. وأفروديت إلهة الحب والجمال..

وهيفستيوس إله النار وديميتريوس إله الزراعة والخصوبة.. وهيرا زوجة زيوس إلهة الزواج..

اجتمع كل هؤلاء بصحبة آخرين من الآلهة الذين اتخذوا أشياء أخرى ليحكموا البشر من سماء الأوليمب ماعدا هايدس الذي اتخذ العالم السفلي مكان حكمه ولم يجتمع مع الباقين في الأوليمب.

لقد كانت الأحقاد والضغينة تحركه دائما حتى أصبح بداخله رغبة في الانتقام من أخوته فقد شعر لوهلة أن الباقيين أفضل منه فلما لا يصبح هو ملك الآلهة يوما ما.

هذه بعض الحقائق المبدئية التي أطلعناك عليها يا أسترو، هذا اسمك على حد قول كاسبيان، وهذا الاسم عظيم ليس بقليل الشأن.

أنصت إليهم أسترو بإنصات شديد ولم يقاطعهم أثناء حديثهم أو يستطرد في الكلام بعد فراغهم منه.

أشار أحد الكهنة لكاسبيان:

. تستطيع الذهاب وترك أسترو لنا في مهمة بحثه عن ذاته التي يريد أن يخوض غمارها ويشبع روحه بالمعرفة الحقيقية، المعرفة السامية، التي سيعلم مقدارها جيدا.

اضطرب أسترو كالذي بترله ساق:

. أنا هنا لأجل هذا الغرض ولكن قلقي يتفشى في جسدي، يجب أن أكمل ما طلبته ولن أتراجع، فليكن ما يحدث أذن، لن يحدث ما هو أسوأ بالطبع.

ألقى كاسبيان التحية عليهم ليختفي عبر البوابات خارجا وسط ترقب أسترو له، الذي غمره إجلال الكهنة المبجلين، وأغرقه حتى النخاع.

في البداية يجب علينا القيام ببعض الأمور، لبدء رحلتك التي قد تكون صعبة لك، لا تراجع بأي حال من الأحوال ولا مجال من التوقف.

اصطحب الكهنة أسترو إلى غرفة مقابلة للتي مكثوا بها مع كاسبيان قبل رحيله، يفتح أحدهم المزلاج فيدلف الآخرون تباعا ليأذنوا لأسترو بالدخول وإغلاق الباب.

17

حياة جديدة

مغطس كبير مزينة حوافه بماء الذهب الخالص.. مفتوحة كوة أعلاه في جدار الجبل.. لتهوية المغطس والسماح لأشعة الشمس من التسلل إليه، أنية ذهبية مرصعة بالعقيق الفاخر على منضدة من الجرانيت التي رسمت عليها النقوش وطليت أخاديد النقوش بماء الذهب كما الحال فيما يتعلق بأي غرض موجود بداخل هذه الغرفة، طلب الكهنة من أسترو التخلي عن ردائه البالي الذي يستر به جسده، امتنع أسترو في خجل ليرمقه أحد الكهنة بنظرة ثاقبة جعلت أمر التخلي عن الرداء بشيء بسيط، ليصبح عاريا تماما أمامه لا يستره شيء، شحذ آخر آلة حادة مقبضها من الفضة، واقترب نحو أسترو.. ليفترش آخر تحت أسترو رداءه الذي تخلى عنه، أضطرب أسترو في وجل، ولكنه تذكر كلامه أنه لا باب للعودة.. ليتماسك قليلا، يأبى القيام بهذا الأمر.. أقترب منه الكاهن الممسك بالآلة الفضية وأمره بإطراق رأسه، أمال أسترو رأسه إلى أسفل..

ليبدأ الكاهن مهام عمله.. ويغلق أسترو عينيه مقسما لنفسه أنه لن يفتحها أو يتحرك إلا عندما يريدون هم هذا كي لا يفسد الأمر، مرت لحظات يلوك فيها الكاهن أسترو بين يديه طوعا.. كالرسام الذي ينهي لوحة فنية رائعة في لحظات قليلة مسَّ فيها الكاهن رأس أسترو وجسده.. خرج من بعدها أسترو كقطعة لحم طازجة أو طفل خرج للتو من رحم أمه.

لملم الكاهن رداء أسترو الغارق في شعره.. يلقي به في أناء ضخم متقد بالنار يلتهمه في نهم وفوق الرداء المتقد وضعت البخور التي ملأت الجو شجنا بدلًا من رائحة الرداء الفاسدة، وسط ترقب أسترو لرداء كاسبيان فهو لا يمتلك شيئا خاص به هنا، في تلك اللحظات كان الكهنة يملئون المغطس بالماء الساخن وما أن فرغوا أمروا أسترو بالاقتراب نحو المغطس.

توجه نحو المغطس لينزل أدراجه السبع في خطى متهادية وسط رائحة البخور وكثافته مع أبخرة الماء الساخن المتصاعدة من المغطس لتتكون شبورة ضبابية، تنحى الكهنة متقدما نحو أسترو أكبرهم وأعلاهم قامة لا تستطيع تمييزه من بينهم إلا في ضآلة جسده..

يأمر أسترو بالتوجه صوب شعاع الشمس الساقط نحو المغطس.. ويملي عليه أن يركز بصره نحو الشعاع الساقط ويرخي جسده في وضع النائم، نفذ أسترو ما أمره به الكاهن ليستلقي ممددا.. أخرج الكاهن قنينة من إزار ردائه الأبيض.. وجثا بركبته على أرض المغطس.. وأفرغ محتويات القنينة بداخله..

زيت نفاذ الرائحة قد أغرق المغطس برمته، يملأ الأجواء روعة فوق روعتها.. ترك الكاهن أسترو لبضع لحظات حتى أمره بالتخلي عن وضعه المنبسط والتوجه نحوه..

توجه أسترو في هدوء أذهله!.. لم يتوقع أن يصير عجينة لينة بين أصابعهم، أمسك الكاهن رأس أسترو الحليقة ليدهنها بالزيت الذي ملأ المغطس لتلمع رأسه في ضوء الشمس والنيران التي أكلت الرداء.

. لا تخف هذا زيت العنبر، سينقي جسدك من الشوائب ويقوي قلبك ويهدئ من روعك أيها الأسترو العظيم.

فوجئ أسترو بنعته بكلمة العظيم، هل هذه الحقيقة التي أبحث عنها، أنا أبحث عن الفرار.. عن الماضي الذي سُحق في طرفة عين.. لا أستطيع مجابهة الكاهن الأكبر، حتما سيعتبرونها مهانة واستخفاف بهم بعدما وعدتهم بألا أتراجع.

أمر الكاهن الأكبر أحد الكهنة بفض الرداء الذي يمسك به.. لينبسط ثوب ناصع البياض كالذي يلبسونه.

أخرج الكاهن الأكبر أسترو من المغطس ممسكا به يدا بيد.. ليطلب من أحد الكهنة الواقفين في صمت أن يأتي بمنشفة يزيل بها آثار مياه المغطس من على جسد أسترو.. ليلبسه الكاهن الممسك بالرداء.. ثوب كهنة المعبد المقدس..

شد إزاره الذهبي فتدلي على خصره وألبسوه نعل من جلد الثعابين بدل النعل الذي لقي حتفه مع الرداء، يطوفون به المغطس في حلقة حلزونية الشكل ثلاث مرات، وسط إشعال المزيد من البخور والابتهال في صوت تهدجه الهمهمات حينا ويعلوه الصمت حينا آخر..

متوقفين في المرة الثالثة..

يحيون أسترو كالتحية التي ألقيت عليه مع كاسب عند مجيئه.. يبادلهم نفس التحية ويفرغون له الطريق ليسبقهم في الخروج عبر الباب.

خرج أسترو من الباب وتبع خطاه الكهنة..

أحس أسترو بأن الهواء الذي يتسلل من باب المعبد يداعب رأسه الحليقة ونيران المحارق من حوله أمام التماثيل تشعل وميضها في مخافة.. الجميع يحتفي به حتى رموز الطبيعة المادية الصامتة.

عبروا الغرفة حتى وصلوا إلى ممر ضيق يتشعب إلى غرف أخرى متعددة، ليخبره الكاهن الأكبر بأصل هذه الغرف:

. إنها لآبائنا الكهنة المبجلين الأولين الذين سبقونا في خدمة المعبد المقدس وتشرفنا بأن نمشي على نهجهم ونتبع خطاهم السامية.

فتح الكاهن الأكبر باب إحدى الغرف التي وقف أمامها.. يتابعه الباقون على ضوء المشاعل التي تضيء لهم عتمة الممر الضيق.

. هذه ستكون لك، إنها بسيطة نوعا ما.. ليس بها سرير ولكن أرضيتها فرشت بجلد الأسود الجبلية.. هنا جميع الغرف متشابهة، جميعنا نعيش في زهد.

طاف أسترو بنظره ليرى أي أساسيات للحياة دون هذا الجلد المفترش على الأرض الصخرية القاسية.. فلم يجد.. لا مشاعل بالداخل تؤنس وحشته.. فقط هي بالخارج بين الغرفات، يلوي فمه ويطويه سريعا قبل أن يلحظ أحد امتعاضه المستتر.

دلف إلى غرفته دون أن يفتح فاه وأغلق مزلاجها من الخلف وأرخى جسده على فراشه.. الذي ألم جسده للوهلة الأولى.. وتمدد ينظر السقف المظلم فوقه.. ما زالت رائحة العنبر تنخر أنفه.. تتسلل إلى رأسه.. تهدلها.. لينام في سكينة دون أن يشعر ثانية بقسوة سريره الصخري الجديد.
صوت قرع الباب ملأ رأسه المثقل من الإجهاد.. يطوح رأسه ويقف بجسده الممزق.. يتحسس طريق الباب.. يشد المزلاج ليظهر أمامه الكهنة.

. حان وقت الاستيقاظ.. أشياء هامة يجب أن نفعلها سويا.

فرك عينيه الناعستين بظهر يده ليراهم بوضوح.. أقفل باب غرفته وتبعهم إلى وجهتهم التي يقصدونها.. خرجوا من باب المعبد ليرى السماء مظلمة.

. أنمت كثيرا إلى هذا الحد!

. ليس بالكثير.. الفجر قد أوشك على الانقضاء.

علا السخط وجهه وكتم غيظه ليتخذوا أدراجا تصعد بهم نحو قمة الجبل.

. إنه وقت التأمل يا أسترو، الجسد الشقي البائس هو الذي ينام كثيرا.. والغبي المتأفف دائما هو الذي يفوت فرصة مثل هذه للاختلاء والتأمل في الكون وروعته.

وصل الجميع إلى مقصدهم.. ليتخذ كل منهم موضعا للجلوس تحت شجرة سحرية.. ثمارها مصابيح صغيرة تطوف حولها كائنات سحرية.. هيئتهم بشرية وأجنحتهم مضيئة كثمار الشجرة.. تنشر الأجنحة السحر وراءها وتصدر نغمات رنانة.

مقرفصين أرجلهم وواضعين أيديهم كفا قبال كف تحت ذقونهم، جلس أسترو يقلدهم.

. أغلق أصداف عينيك بإحكام شديد.. وتعمق داخل روحك.. ألمسها بيدك.. قاوم أفكارك التي تداهمك.. لا تجعلها تقودك.. كن ما تريد.. كن طيرًا يحوم حول قمة الجبل أو فهد قوي يطارد فريسته، كن ما تشاء.

فتح الجميع أعينهم في نفس اللحظة، حتى أسترو كان معهم.

اندهش أسترو من سر التناغم العجيب الذي أبداه معهم حتى تساءل:

. كيف تمكنت من فعل هذا، وكأني شعرت بكم!.

رد الكاهن الأكبر.. ناظرا لعين أسترو مباشرة بقوة تخترق أسواره التي انخفضت وكادت تتلاشي.

. الروح حساسة للغاية.. حينما تطلق سراحها تتمكن من سبر أغوار كل شيء، الجالسون بجانبك والبعيدون عنك.. إنها القوه الكامنة بداخلك، عليك فقط أن ترخي لها العنان ولا تتشبث بها تشبث الأعمى بالعصا.. دعها تقودك إلى الحياة.. انتهينا من التناغم الروحاني ونبدأ شيئًا آخر مهما للغاية.

وقف الجميع في أماكنهم وجال الكاهن ببصره حتى توقفت عينه نحو أحد الكهنة الذي فهم الإشارة التي بعثها له دون أن يتكلم.. ليلقي عصاه نحو الكاهن بقوة تستطيع أن تؤذيه..

غطى أسترو وجهه بكلتا يديه وفزع خوفا من أن تصيبه العصا.

. لا تخف..

همس بكل هدوء الكاهن الذي أوقف العصا دون أن تصيبه بأذى أو يحرك ساكنا!

أزال أسترو يديه بعيدًا عن وجهه ليرمق الكاهن الأكبر بنظرة ملأتها الحيرة والانبهار.. تلعثم في كلامه وجف حلقه:

. ك.. كيف...!

. عندما تتحرر روحك بصورة كاملة، وتتمكن من قواها وتعلمها جيدا.. تستطيع فعل أي شيء.. روحك تتحد مع عقلك وتنفذ ما تمليه أنت عليهم.. أنت الذي تقودهم، تستطيع أن توقف قطرة ماء وتتحسسها بأصابعك.. أي شيء تريده تتمكن من فعله بواسطة عقل صافي قوي وروح سامية رهيبة.. ستتطلب هذه المرحلة كثيرا من الجهد

حتى تصل إليها.. الكثير من التأمل سيجدي نفعا.. ولن أذكرك مرة أخرى عن امتناعك عن الطعام وعدم الكلام دون سبب مقنع أو حاجة لك.. طعامك سيكون القليل من العسل عند شعورك بالوهن وهذا ما سنحدده بطريقتنا.

أبدى أسترو برضاه التام عن حديث الكاهن الأكبر دون أن يتكلم كما أشار له فقط نظراته هي التي عبرت عن موافقته.

نزل الجميع وقصدوا الغرفة التي دخلوا بها مع أسترو قبل أن تصبح هيئته مثلهم ويعد واحدًا منهم.. والآن لا تستطيع تفريقه دون الباقين إلا بصغر سنه الملفت بالنسبة لهم.. لقد حاول في مخيلته أن يحدد لهم سنًا معينة ولكنه لم يتمكن.. إنهم مختلفون عن الجميع، فمن الممكن أن تكون أعمارهم في حد ذات اختلافهم.

خلع الجميع ستراتهم البيضاء ووضعوها على حامل معدني ذهبي كبير بجانب المغطس.. المياه الساخنة تملأ المغطس ورائحة العنبر تفوح من جوفه دون أن يكلف أحد عناء جهد ملأه أو تطيبه.. أنه بالفعل تم ملؤه مسبقا! ..

ينزلون الأدراج ويرخون بأجسادهم داخل مياه المغطس، أشار الكاهن الأعظم بعينه نحو الدولاب الذهبي بجانب الحامل الذي اكتسى ببياض ملابسهم، لينفتح الدولاب ويخرج منه غاليونًا خشبيا يمسكه الكاهن بيده، ويشعله من العدم.

. النيران هبة بروميثيوس للبشر التي عوقب من أجلها في عقاب أزلي، مشيرا إلى الإناء الذي التهم رداءه سابقا، كل عوامل الطبيعة مسخره لأجل خدمتك، كن سيدا لها وهي بالطبع ستخدمك دون تردد.

يخرج دخان الغليون ذا الرائحة الطيبة من فمه قبل أن يناولها لكاهن آخر مرورا بأسترو الذي أذاب عقله هذا الدخان العشبي الجميل.

. أنه الكاموميل المقدس.

لينهوا جلستهم ويلبسون ثيابهم متوجهين لمقابلة بعد الأشخاص الذين أتوا بالأسفل وسيصعدون بعد لحظات ليعطوهم بعض الذبائح الزهيدة من قوتهم لترأف بهم الآلهة وتزيح عنهم بلاءهم والغم الذي أصابهم منصرفين في عجل وخوف، يصعد الكهنة ومعهم أسترو من بعدها نحو الأعلى لاستكمال تأملهم حتى المساء ثم يخلدون إلي النوم لبدء اليوم كما اعتادوه بصحبة أسترو، يكررون ما يفعلونه يوما بعد يوم لأيام وليال كثيرة لا تحصى ولا يتذكر أسترو عددها، محافظا على جسده الحليق حتى أطراف أصابعه وطعامه الشهي القليل الذي يأكله في وقار دون أن يشعر بجوع أو امتلاء بطن.

داعبت الشمس المشرقة أجفانه المغلقة.. يقاوم سحرها، لو فتحها حتما ستصبح سلسلة تأملاته الذي بدأها في مهب الريح.. لقد وصل الآن إلى مستوى مشرف يليق به كأسترو أعظم..

لم يشعر بحراك أحد ممن هم حوله..

أحس بالشمس تؤرق أجفانه وترغمها على الخنوع لها، يظن أنه قد تحول إلى طائر شقي ضرير قد تمنى رؤية الشمس يوما ما يتشوق لرؤيتها حتى أشارت له بقية الطيور بالتحليق حتى يصل إليها عله يتمكن من رؤيتها عن قرب ويُشفي بصره.. لتلتهم مقلتاه وتطفئ الشمس ظمأها الذي لا ينطفئ بجسده عاثر الحظ، التهبت أجفانه من حرارة الشمس ولم يستطع المقاومة أكثر من ذلك حتى تأوه مطلقا العنان لبصره.

شعلة الكاهن الأكبر المتقدة هي التي اقتربت كل هذا الحد نحوه.. حرارتها الشديدة هي ما تلتهم أجفانه.. يحثه الكاهن على الاستيقاظ ومن خلفه باقي الكهنة ممسكين بمشاعلهم أيضا التي أضاءت حجرته المظلمة.

انتفض أسترو في فزع.. يرتعش بدنه ويطلق وابلا من الاعتذارات للكاهن الأكبر ويتوسل إليه ويتشبث بيده الخالية من المشعل ويمسك بهدب ثوبه:

. ما الذي دهاني اليوم.. أصفح عني يا سيدي، لا تقل أني راسب ولا فائدة مني، لا أعلم أنني نائم حتى الآن لقد ظننت أنني معكم بالأعلى.. أنا حقا كنت معكم، أنا لست كاذبا يا سيدي.

ربت الكاهن بنظرة ممتلئة بالعطف قصدت أعينه ووجهه المبتل بالدموع دون أن يمسسه ثم أمسك بيده التي هدأت حدة اضطرابها بعد نظرته يساعده على النهوض، قام بكل نشاط وحيوية لم يسبق أن عاهدها من قبل.. حتى استقام جسده وما زال ينظر إلى الكاهن الأكبر في توسل.

. بل أنت اجتزت كل ما أوكلت به.

امتلأ وجه أسترو بالفرح الغامر الذي أشعله كالمشاعل التي حوله، ليستطرد الكاهن بابتسامته:

. أنت لم تبرح الحجرة منذ قدومك.

أنبعث التوجس وعلت المخاوف أسترو وأشاح بوجهه المتوسل بعيدًا عن ناظري الكاهن الأكبر.. تغمره الأفكار:

. حتما إن الكاهن الأكبر قد نال مني وأنني كنت نائما ويعد لي العقاب بمجرد خروجي من الحجرة.

قبل أن يستطرد الكاهن الأكبر:

. كل ما حدث لك كان أثناء سباتك، روحك هي التي كانت تهيم الأرجاء، أنت الأسترو الأعظم لا مجال للشك في هذا.

ثم انحنى برأسه في احترام لأسترو.

تنهد أسترو الصعداء ولكن خطر بباله سؤال لم يزل عنه توجسه بعد:

. والباب أنه مقفل! كيف..

رفع الكاهن رأسه:

. لقد طلبنا منك بتركه دون إغلاق وكان طلبنا مصحوبًا بنسيانك الأمر.. لنتمكن من إيقاظك دون تشتت روحك في لحظة مناسبة.. دعك من هذا وأتبعني هناك صحبة تطلب رؤيتك.. لقد ترددوا كثيرا طيلة الأيام المنعقدة ولكننا كنا نرجعهم سرا.

انفرجت أساريره وطار قلبه فرحا يتبع الكهنة في عبورهم للممر الضيق في هدوء واطمئنان لما آل إليه.. وها هو الآن سيراهم.

ظهر كاسبيان وأريانا بمجرد مروره للممر الضيق، بادلا بعض الابتسامات، وبعض نظرات الدهشة غلبت كاسب وأريانا، أسترو بدا هادئا للغاية يتصرف وكأنه الكاهن الأكبر وليس هذا الغريب المثير للشفقة، تبادلوا التحية كالمعتاد في المعبد المقدس.

قاطع الكاهن الأكبر الود الذي أظهروه تجاه بعض وتكلم بنبره حادة كانت تلك المرة الأولى التي يتكلم فيها الكاهن بهذه الحدة:

. أظن أن لا وقت للأسترو الأعظم كي يخسره.

فهم كاسب وأريانا أن الكاهن الأكبر لا يريد أن يفقد أسترو تركيزه في عواطف لا فائدة منها، استأذنوا العودة التي وافق عليها سريعا الكاهن، غادروا المعبد سريعا عائدين ديارهم.

التفت الكاهن الأكبر نحو أسترو يملي عليه بعض الأمور الهامة التي بدت مقصدا لشيء:

. ستدخل الآن بمفردك إلى المغطس للتطهير وتعود إلينا في أقرب وقت، كن متأهبا.

أذعن أسترو لكلماته وتوجه ناحية المغطس وأقفل الباب وراءه، المغطس مجهز ولا شيء عليه سوى خلع ثيابه والنزول به لبضع لحظات، والغليون مجهز ولكن غير مشتعل، أمسكه وجسده يتدلى في المغطس حتى صدره، أشعله كما علموه، نفث دخانه الذي انتشى برائحته حتى تقلص حاجبيه من شدة النشوة، ومع نفاد الدخان خرج من المغطس ولبس ثيابه عائدا إلى الكهنة الذين كانوا في انتظاره أمام الممر الضيق، ملابسهم تغيرت أو قد أضافوا رداء آخر ذهبيا له شقان أمامي طويل وشق خلفي قصير لا يكاد يصل إلى منتصف ظهرهم لا أكمام له فقط فتحة صغيرة في الرداء تلبس في رقابهم ليتدلى في مظهره الأنيق، ممسكين بعصيان ذهبية تنتهي برأس نسر وفي فمه بلورة ولكن كل بلورة كاهن كان لها لون مختلف، الكاهن الأكبر بلورته متوهجة حمراء والكهنة الآخرون واحد بلورته زرقاء لامعة والثاني لونها كلون الطمي والأخير بلورة لا لون لها.

نظر إليه الكاهن الأكبر الذي توجه نحو الممر الضيق:

. اتبعنا يا أسترو.

أومأ أسترو برأسه يتبع خطواتهم وأضواء مشاعلهم.

18

غرفة الأسلاف

عبر الجميع الممر الضيق والغرف التي يقصدونها ليأخذون قسطا قليلا من الراحة، نظر أسترو نحو الغرفة التي كان ينام بها، ليعبر حتى نهاية الممر الموجود به الغرف.. حائط جبلي كبير.. طريق مسدود لا منفذ من خلاله.

أشار الكاهن الأكبر ورفع يده الممسكة بعصاه الذهبية إلى أعلى..

ليقف الجميع من ورائه.. يقرب المشعل رويدا رويدا نحو الحائط، يتحسسه بيده الفارغة، يمرر يده بعرض الحائط في بقعة معينة يعلمها..

وضع رأس العصا في أخدود غائر يمين الحائط.. أضاء الحائط عند وضعه لرأس العصا فوق التجويف وارتسم فوق التجويف رمز لهيب النار ليظل مشتعلا حتى بعد ظهوره وإخراج الكاهن لعصاه خارج الحائط..

ليفسح المجال للكاهن الممسك بالعصا التي لا لون لها.. تمت دعوته من قبل الكاهن الأكبر..

ليضع عصاه في البقعة المقابلة للأخدود السابق ولكن هذه المرة.. شمال الحائط.. نُحت فوق الأخدود رمز إعصار الهواء وانبعث خط

شديد الإضاءة والتوهج ما بين الرمزين ليشتعل رمز لهيب النار أكثر من سابقه.

تنحي الكاهن ويتخذ موضعًا بجانب الكاهن الأكبر..

الذي دعا الكاهن الممسك بالعصا ذات البلورة الزرقاء ليكرر ما فعله سابقوه ولكن في أخدود غائر آخر منتصف الخط المرتسم ولكن يعلوه ببضع إنشات ليرتسم رمز قطرات ماء وارتسم خط آخر مضيء ليتصل بالخطين الآخرين.

دُعي الأخير ليدخل عصاه في البقعة المقابلة للكاهن السابق.. أسفل الرموز السابقة.. لتُرسم رمزًا لشجرة امتدت جذورها في الأرض..

اكتملت جميع الرموز واتصلت ببعضها.. اتصالهم قد زاد من توهج كل رمز منهم، دارت الأربعة رموز في بطء حول بعضها البعض..

الجميع يقف في صمت..

وخاصة أسترو الذي بدا له الأمر ليس بالجديد وكأنه قد خاضه من قبل، هنا يتوقع أي شيء دون أن تعلوه الدهشة أو الحيرة..

ثم بدأت الرموز في الإسراع تدريجيا حتى وصلت إلى سرعة جنونية.. وهج الرموز والخطوط الواصلة بينهم قد ازداد حتى بدأت ملابسهم في التطاير.. إثر الهواء المنبعث من الحائط المتوهج..

الجميع ما زالوا واقفين في ثبات..

حتى توقفت الرموز وبدأ الوهج ينطفئ.. لينفتح الحائط.

حائط حجري متحرك.. يهز الممر الضيق الواقفين به حتى انفتح على أخره.. دلفوا إلى الداخل وانغلق الباب بعد دخول الجميع مباشرة.

أربعة أدراج كانت تفصل الجدار عن هذه الغرفة الضخمة.. العالي سقفها.. بها كثير من التوابيت الرائعة الجوهرية التي تضيئها الأحجار الكريمة من العقيق والزمرد والياقوت والمرجان واللؤلؤ..

ثروة هائلة ترصع تابوتا لا عمل له.. إلا أن يتأمل الموت والموت يتأمله.

التوابيت جميعها متراصة وواقفة.. مغطاة بزجاج مُضاء بأجساد من بداخلها ويزيد ضوئها ثيابهم البيضاء..

التوابيت متراصة جنبا إلى جنب لتكون أزقة صغيرة يستطيع الموجود بالغرفة أن يتجول من خلال هذه الفراغات التي خلفتها التوابيت.

هكذا كان الشكل على اليمين وعلى اليسار..

مشي الجميع على استقامة خلف الكاهن الأكبر دون أن يحيد أحد عن استقامته حتى وصلوا إلى منتصف الغرفة.

أربعة أعمدة من الجرانيت قد نصبوا حتى سقف الغرفة.. يشكلون منصة صغيره تصعد عليها بسلالم من نفس مادة الأعمدة.. قطع من مادة معدنية في شكل قبة تتدلى من السقف حتى بداية الأربعة أعمده.

تعلق نظر أسترو بالقطع المعدنية المتدلية من فوق المنصة الجرانيتية.. قطع شروده صوت الكاهن الأكبر:

. هنا تاريخ أسلافنا، أجسادهم محفوظة بداخل هذه التوابيت الأنيقة، لا يستطيع أحد الولوج إلى الداخل دوننا.. اتحادنا نحن الأربعة هو من يمكننا من الدخول، أما عن هذه القبة المعدنية المتدلية فهي مصنوعة من النحاس.

أشار الكاهن الأكبر لأسترو بالصعود على المنصة:

. هذا آخر اختبار لقواك، إن صمدت ستكون هذه بداية النهاية.. ستسافر بروحك من بداية العالم وحتى أقاصيه.

نظر أسترو إلى الكاهن الأكبر ليلقي عليه سؤاله الأخير:

. من أنتم بالتحديد؟

. نحن المسافرون عبر الزمان.. أسياد الأرض وموازين العدل، كل هذه التوابيت أجسادنا التي اقتنيناها.. أرواحنا تسكن أجساد المختارين، المقيمون العدل والسالكون في طريق الحق.. نحن من أتينا بك إلى هنا، نراقبك منذ ولادتك، لا نتدخل في اختياراتك أو حياتك، أحلامك صنعنا ومهمتك نحن من كلفناك بها، رأينا خط حياتك عندما انفصل حبلك السري عن والدتك.. حتى أتت الساعة التي سنحت لنا بعبورك إلى مهمة لا يستطيع غيرك فعلها، رسالتك التي أوجدت لقضائها.. لم تستطع تنفيذها في السابق ولكن الحياة لها حق عليك، حق تأخذه بطريقتها الخاصة.. الكون لا يستطيع أحد أن يعبث معه أو يخل بموازينه.

وقف كل كاهن أمام عمود وأسترو يتوسط المنصة، علت هاماتهم لينظروا نحو القبة النحاسية، يطلقون وهجًا شديدا قد خرج من عصيانهم البلورية ويصرخون بأصواتهم.

. ستهيم وتطوف الفراغات، ستطهرك النيران وتبتلعك المياه وتطير في الهواء وتسبح في الطين الذي كون منه جسدك.

تحركت القبة المعدنية وتسربت طاقة منها عبرت إلى الأعمدة الجرانيتية حتى تكون حقل مغناطيسي أحاط المنصة التي تضم جسد أسترو حتى ضربته هذه القوى.. ارتفع جسده من فوق المنصة ليتذبذب جسده بسرعة كبيرة، يغيب عن الوعي ويرتطم جسده بأرض

المنصة عندما توقفت حركة القبة المعدنية.. وتلاشى فيضان الحقل المغناطيسي.

***

جدران مظلمة شكلت متاهة تدفعه نحو ضوء قد ظهر من ثنياها..

طفل صغير تحمله والدته على ذراعيها وأبوه بجانب والدته يلمس جسد الطفل الصغير بيد والأخرى تربت على وجه أمه وكل من حولهم يهنئون الوالدين بميلاد الطفل السعيد، يغمض عينه المحملقة في والدته ينهل من حبها البالغ الواضح على محياها.. يكبر قليلا، طفل آخر اسمه سامي يدعوه أن يلعبا بالكرة معا.. يتباريان ويجريان تصطدم برأسه كرة سامي لتسقطه أرضا، آثار قطرات دم تملأ وجهه وهو ساقط على الأرض.. جرح غائر في صدره.. قلبه قد اختفى.. يحول ناظريه لآثار قطرات الدماء ليصيبه فزع شديد.. هذه الفتاة التي أحبها تمسك بقلبه التي اقتلعته من جذوره المتشعبة في صدره والدماء تملأ وجهها وكلتا يداها.. يعتدل بجسده ليمسك بها.. فيسقط ثانية . يجد نفسه على سفينة كبيرة تتلاطمها الأمواج ليهيم في أعماق المياه ويسقط في دوامات وفراغات تودي به إلى أعماق مياه نهر قد عرفه..

نهر ديلف

***

الكهنة من حوله.. يفوق تدريجيا وجسده المسجي على أرض المنصة قد انتعش ثانية، ينظر إلى الكاهن الأكبر في ضعف قد اعتلاه لوهلة ثم زال عندما دقق النظر في وجهه ثانية:

.لقد علمت من أنا، حياتي البائسة مرت أمامي.

نظر إلى جسده الذي أصدر دخانا قد تعالى منه، ليرى نقوشا قد رسمت عليه.. منها سقوطه على الجزيرة ومسار حياة منتظم لم يُرسم بعد.

الذي قد لاح له على جسده.. نجم ارتسم على جسده.. هذا النجم يسقط في نهر ديلف وكلمات تنم عن هذا السقوط..

قبل أن يكتمل نقش آخر.. قد بدأ يظهر على جسده..

الوحش الذي رآه في أحلامه!.

19

السرداب

ستنزل أدراج الجبل لتجد الجواد الذي سيصطحبك إلى مقصدك، أخرج الكاهن الأكبر شيئا ما من جعبته ومد يده ليعطيه إلى أسترو مستطردا:

. القلادة.. تركها لك كاسبيان، إنها لك الآن، أيضا أريد أن أذكرك بشيء، من تحركه الكراهية لا يمكن التغلب عليه بسهولة فبداخله نار حارقة لكل من يقف أمامه ولكن من يتحلى بالحكمة هو الوحيد القادر على هزيمته، كن على القدر الكافي من الإخلاص لتأدية ما قد ألقي على عاتقك.

ودع الكهنة أسترو بتحيتهم التي اعتادوها ليمتطي الجواد الذي وجده بالأسفل منطلقا نحو الكهف، متقدما نحو غرفة أريانا وجدتها كير حتى وصل إليها لينادي عليها من خلف الستار الجلدي المنسدل على باب الحجرة.

انتفضت أريانا وتركت طعامها الذي تتناوله مع الجدة جانبا، إنها تألف صوت المنادي عليها، أزاحت الستار الجلدي لتكشف عن وجه أسترو.

. كيف علمت أن هذه غرفتنا؟

. سألت أحد الأشخاص عن حجرة الطبيبة.. أريانا لم يكن شاق الوصول إليك يا سيدتي، تعالي برفقتي أريدك في شيء هام.

نزلت أريانا الأدراج مع الأسترو الذي اختفى من ورائها لتراه في ساحة الكهف أمامها بالأسفل، انفغر فمها وقوصت حاجبيها وتقدمت نحوه، يتهدج صوتها في ذهول:

. أنت كنت خلفي منذ لحظات.

ابتسم أسترو ليزيد ذهولها واستطرد كلامها مقاطعها:

. أتيت هنا للعثور على شيء مفقود منذ عصور.

كشف عن جسده المليء بالنقوش، ليشير إلى كائن مجنح مقيد بالأغلال!

. إنه هنا، دققت النظر في جميع أرجاء الكهف ولم أصل لشيء حتى الآن، فطلبت مساعدتك علك تعلمين شيئا عنه.

ارتعدت أريانا لما رأت جسده المليء بالنقوش:

. أنه في غرفة مظلمة لا سبيل إلى الوصول إليها.. الغرفة مفقودة منذ عصور داخل هذا الجبل، هذا جل ما أعلمه.

لم تحمل له معلومة تثريه ولكنه على أي حال سيحتاجها بجانبه في إيجاده، لوي فمه وأصابه الضجر:

. إذن ليس هناك أمامنا إلى طريقة وحيدة للوصول إليه، أريد مكانا متواريا عن جميع الأنظار.

صمتت أريانا لبرهة وأخذت تفكر في مكان لا يتردد عليه الكثير من ساكني الكهف، ثم استطردت:

. يبدو أنني علمت ما تحتاج بالضبط.

توجهت أريانا نحو إسطبل الخيل، فتحت بابه ليدلف أسترو بالداخل، اعتلت أسترو ضحكة خافتة كان يحاول إخفاءها:

. إسطبل الخيل فكرة رائعة رائحتها نفاذة للغاية.

اغتاظت أريانا لكلماته الساخرة، وكانت ستغادر الإسطبل وتتركه بمفرده، أمسك بمعصمها برفق ونظر إلى عينيها برفق.

. أريدك بجانبي.

لانت أريانا إثر كلماته الرقيقة لتتحول هذه الكلمات إلى شيء من الخشونة يحاول من خلالها إخفاء هذا اللين الذي أبداه.

. أقصد لأن ما سأقوم به قد يكون له أثر عكسي وسأريد أحد يداويني.

كتم ضحكته الساخرة.. لاحظته أريانا، فأبعدت يده الممسكة بمعصمها بشيء من الغيظ المكتوم.

. حسنا، حتى تنتهي وسأعود إلى جدتي لأنها بمفردها وأنا لا أحب أن أطيل عليها.

. اتفقنا.

فك أسترو رداءه الأبيض ليكشف عن جميع النقوش التي ارتسمت على جسده والقلادة التي توسطت صدره، أشاحت أريانا بنظرها يعتليها الخجل، ولكن عادت تحملق لترى هذه النقوش.

. إنها تمثل حياتك والأيام التي قضيتها على الجزيرة كل شيء تفعله ذا معنى يُرسم على جسدك، سقوطك في قاع نهر ديلف والقوة التي تمكنت منها في المعبد المقدس وشكل الوحش وكلمات أخرى غير مكتملة.

. ستكتمل عندما أجده وأشق طريقي إليه، الغرفة التي يتواجد بها والسرداب الذي يودي إليه قد رأيتهم سابقا ولكني حتى الآن أجهل طريق السرداب بالتحديد.. لذا سأفعل ما يمكنني من العثور عليه.

أغمض أسترو عينيه وفرد يديه ليدور جسده في الهواء بحركة دائرية سريعة وثب في حركته على أطراف أصابعه إلى الأرض والنقوش في جسمه تتوهج لتنطلق من داخل جسده مئات من الأسترو المشابهين له تماما، قبل أن يعود إلى الأرض.. وتنطلق جميع الأستروات المنبثقين منه.. كخلية نحل دائبة في الحركة، يبحثون عن مكان السرداب المفقود، كل أسترو يبحث.. نتائج بحثه يتلقاها الأسترو الأصلي، جميعهم أتت نتائجهم سلبية لا مكان لسرداب مفقود أو ما شابه ذلك، حتى أتى له الخبر اليقين أن هناك بصيصا من الأمل في إيجاد مبتغاة.

أتشح أسترو بردائه يخطو بثبات خارج الإسطبل وأريانا تتبعه يسألها عن مكان مخزن الأسلحة السري.

. مفتاحه مع كاسب، يُفتح فقط في وجوده.. لصيانة الأسلحة الموجودة به.

. والمفتاح الآخر الذي يتركه معك!

ها هو يعيد الدهشة والذهول إلى نفس أريانا مرة أخرى..

. سأجلبه لك في لحظات.

اتجهت أريانا نحو حجرتها لتعود إليه حاملة النسخة الأخرى التي تركها لها كاسب متوجهة بالمفتاح نحو مخزن السلاح السري أسفل الكهف خلف مخزن الطعام والمؤن، باب حديدي صغير.. الصدأ أهلكه، أصدر صوتا مزعجا عندما أحتك بالأرض ليفتح أخيرا.. هذا

الباب المتآكل يخفي زخما هائلا من الأسلحة المتعددة وحجرة كبيرة للغاية.

الأرض تغطيها الأتربة والقش الصغير وبرادة الحديد، أشار أسترو إلى منضدة حديدية كبيرة عليها الكثير من الأسلحة.

جثا على ركبتيه أسفل المنضدة يزيل ما تحتها من الغبار المتراكم ليكشف عن غطاء حديدي أسفلها ذي مقبضين غائرين.. أزال ما يطمسهم، أمسك بالمقبضين يزيل الغطاء الحديدي.. صوت الغبار يهرول إلى أسفل ثم أسقط قطعه حجرية، يختبر بها العمق بالأسفل.

. ليست عميقة، أحضري حبلًا لننزل بالأسفل.

أحضرت أريانا حبلًا قد ربطه أسترو بقائمة المنضدة المثبتة على الأرض بفعل الأسلحة الكثيرة المتراصة عليه وتدلوا من خلاله إلى أسفل.

. إنه السرداب يا أريانا .

. مظلم للغاية وضيق أيضا.

. سأتكفل بأمر الظلام.

رفع أسترو يده في الظلام وطوحها.. لتشتعل، يلفها بمهارة حول يده الأخرى لتصبح كرة من النار.. يدفعها إلى فراغ السرداب، تتقدم خطواتهم لتضيء لهم.

تقدموا بخطواتهم إلى الأمام حتى وصلوا إلى الأدراج التي تودي بهم إلى ردهة صغيرة على يسارها باب حديدي عملاق، وقف يتأمل الباب للحظات وأريانا تتفحص وجهه المضيء من انعكاس لهب الشعلة المحلقة من حولهم.

. تماما كما رأيت، إنه حتما بالداخل.

20

ثورجن

صمت ثانية يقرأ النصوص المحفورة على الباب الحديدي:

- يجب أن تفكر مرتين قبل أن تضع يدك على هذه الأبواب فلو كنت أنت الأسترو وتحمل قوة الجادوكاي ستجد مبتغاك وإن لم تكن كذلك ستهلك لا محالة.

مكان القلادة محفور تحت النقوش، وضع القلادة بداخل التجويف المحفور.. وضغط هذا التجويف إلى الداخل، ليسمع صوت طقطقة الترسانة التي تحافظ على إغلاقه بعناية شديدة، التقط القلادة سريعا، قبل أن ينفتح الباب على مصراعيه.

أحس أسترو باضطراب عجيب.. لقد تذكر ما رآه سابقا وما حدث بداخل هذه الحجرة من قبل، كلما انفتح الباب الوجل يزداد ولكنه تولى زمام الأمور واعتلاه شغف ما سيراه خلف هذا الباب الحديدي الضخم وكيف سيتعامل معه.

انفتحت الأبواب وتقدمتهم الكرة الملتهبة المضيئة لهم في الظلام.

يقبع في الظلام الدامس.. متخفيا.. مكشرا عن أنيابه ومخالبه الحديدية.. ينتظر إطلاق سراحه.. مكبلًا بأغلاله.. يغط في نوم عميق لم يمنعه عن إظهار عنفوانه.

هذه آخر العبارات التي كانت منقوشة على الباب الحديدي الضخم الذي انفتح منذ لحظات وتذكرها أسترو عندما رآه.

أحس أسترو بشيء يحرق جسده، نقوش أخرى تكتب عليه، تماسك ولم يصرخ خوفا من أن يصدر تصرفا قد يودي بهما إلى الهلاك.

أقترب أسترو نحوه وأريانا بجانب الباب خلفه كما أمرها أن تفعل، لمسه بحذر شديد.. يحدث نفسه لهول ما رآه:

. إنه ضخم للغاية حتى جعلني أشعر بالمفارقة الصارخة بينه وبين ضآلتي.. جلده سميك للغاية.. أسود اللون ولكنه شديد اللمعان كالبرق وكجلد ثعبان قد أبدل جلده العتيق بآخر جديد منذ لحظات، يكسوه الحراشف كالشوك الذي لا يؤذي إلا من أراد.

وقف محملقًا يلامسه ويتأمل وجهه الرهيب، يستكمل وصفه:

. تعلوه أذنان صغيرتان نوعا ما لكائن بهذا الحجم.. أسنانه مخيفة وكل ناب يبرز من فمه كالرمح المسنن، حتى عينيه مخيفتين أثناء نومه.. مشتعلتان متوهجتان كما رأيتهم مرارا وتكرارا رغم إغلاقه لهم أستطيع الإحساس بهم.

أحس الكائن باقتحام أحدهم لخصوصيته التي حُرمت منذ عقود.. منذ تقييد الأربعة سحرة له.. سحرة الإيوالا الذين أتى بهم والده ديلف ليتحول ثورجن ابنه إلى تنين متوحش خالد يعينه على قتال هايدس وعندما خسروا المعركة، عاد إلى جحره خائب الأمل.. اتفق والده مع السحرة بأن يحتجزوه بداخل حجرته العملاقة إذا خسروا المعركة.. حتى لا يفكر في الذهاب إلى هايدس بمفرده وينتظر طيلة هذه العقود حتى تتجدد الحرب مرة أخرى ويأتي الأسترو ليقوده..

هذه كانت محتوى النقوش التي ظهرت على جسده وتأملها للحظات.

.الآن فهمت كل شيء، يجب أن أروضه وأتمكن من قيادته.

وفيما يتأمل أسترو النقوش رأى طيفا يقترب إليه.. ينظر بجانبه يراه قد أفاق.. انتفض التنين بجناحيه، مثبتا أقدامه على الأرض وأجنحته ترفرف بجانبه.

فزع أسترو وتعثر على الأرض ورجع إلى الوراء.. لم يدع الفزع يهيمن عليه، وقف على قدميه وأمسك بالقلادة أمام ناظريه يتقدم بها نحو التنين الهائج، تنبعث من داخل القلادة أشعة سوداء تحاوطها وتضيء أعين التنين المتوهجة بسوادها.. تقدمت أسترو الشجاعة التي أضرمت بقلبه واكتست بها أوصاله.

هكذا هي اللحظات المخيفة قد تكون سببًا في نجاتنا أحيانا، فخلف كل ما هو مخيف ما هو جميل قد ينتظرنا إذا ما تحلينا بالشجاعة والصبر.. الكافيان لمواجهة هذا الخوف وهزيمته وألا نعطه مكانا في قلوبنا.

أنحنى الوحش الثائر برأسه وكأنه يقدم التحية والاحترام لسيده الذي سينال شرف خوض المعركة معه.. اطمأن أسترو وربت على وجه تنينه، ولم يشعر بنفسه إلا عندما امتطاه وعلا ظهره.

أريانا في الخلف كانت تترقب.. تتقاذفها الظنون ما بين خوف وأمل أشرق في عينيها.. عندما رأت أسترو يمتطي التنين.. لا تصدق ما تراه، هذا الكائن الخرافي لا يزال موجودا، يعيش أسفلهم دون أن يشعروا بوجوده، وها هي الآن سعيدة بأول انتصارات أسترو.

تمسك أسترو جيدا بصديقه الجديد وظل يفكر لوهلة في اسم يناديه به حتى تذكر الاسم الذي حمله هذا العملاق في أحلامه وعلي نقوش جسده:

. ثورجن، دعنا نريهم قليلا من براعتنا.

لقي الاسم صدى عجيبا في ردة فعل ثورجن فثار ثورته منتشيًا بذكر اسمه وانتفض بجناحيه وانطلق.. يحلق من الغرفة العملاقة التي كان حبيسا بداخلها في انتظار سيده وظل يرتفع حتى وصل إلى أعلاها.. حيث غطت الأشجار سجنه العتيق الذي أضحى من الماضي الآن بالنسبة له.. فقد أحاطت الأشجار بسجنه وكأنها كانت حارسا لهذا السر وشاهدة عليه أيضا.

أنطلق ثورجن وسط الأشجار يتلوى بجسده شاقا طريقه وسط أغصانها حتى رأى النور لأول مرة منذ عقود.

كاد أسترو أن يقع أثناء تفاديه للأغصان لولا تمسكه بثورجن في اللحظة المناسبة.

ركضت أريانا نحو السرداب تضيء ظلامه سعادتها التي تشعر بها وليس فقط كتلة اللهب المضيئة التي انطفأت بمجرد خروجها من السرداب، لترنو خارج الكهف نحو الأشجار المرتفعة التي عبر من خلالها ثورجن وأسترو.. لتراهم سويا وبجانبهم الطيور تحلق في سماء جزيرة دريك تاون في مشهد احتفالي ممتع.

تلوح لأسترو من أسفل.. تحييه على ثباته وبراعته التي تراها، يقذف بجسده في الهواء وصديقه يلتقطه وهي تسعد لهذا وتضحك محدثه نفسها:

. شعور الحرية قد نال من كليهما كما تنال الثمالة من شارب الخمر.

و أسترو بالأعلى منتشيا.. يزهو بما حققه وفخورا بثورجن تنينه الأسطوري الذي يمتطيه.. يحدث نفسه هو الآخر:

. لقد كان بداخلي شعور قوي بأنني يوما ما سأكون نجما وبطلا، لم أكن أعلم أن هذا اليوم سيأتي..

كانت مشاعر القلق والإحباط تساورني دائما.. حتى أفقدتني حياتي، دون أن أحقق ذلك..

يبدو أن القدر اختارني.. بل ويحملني مسئولية قد ألقاها على عاتقي..

هل سأكون بطلا حقيقيا.. أم ستنتهي قصتي بالفشل؟!

21

المقنعون

عاد أسترو إلى الكوخ بعد ما خاضه الفترة الماضية وبعدما اختاره القدر ليكون الأسترو الذي قِيل عنه إنه سينقذ الجزيرة، يرتب أوراقه وينظم أفكاره المتوالية عليه.. عليه البدء في توحيد صفوف شعب الجزيرة وتكوين جيشا قويا قادر على إحراز الانتصار في معركته.

بدأ التشاور مع كاسبيان وأريانا لأيام عديدة..

أشار عليه كاسبيان باختيار عدد من خيرة رجال الجزيرة الموثوق بهم والمعروفين بنزاهتهم لمعاونتهم فيما هم مقدمين عليه، فالأمور لا تحتمل وجود خائن آخر وسطهم مرة أخرى فالآن ما يجري مسألة حياة أو موت بالنسبة للجميع..

إما الانتصار أو هزيمة ساحقة ستدهس كل من تراه وتدمر جميع الساكنين على الجزيرة بل ومن الممكن أن يمتد هذا إلى جميع الأراضي المجاورة.. هايدس لن يرحم أحدا.

وفي ظهر اليوم التالي خرج كاسبيان نحو الكهف وترك أسترو في الكوخ وأخبره أنه سيعود إليه حاملًا الرجال الذي أخبره بأمرهم البارحة ليعود إليه كما وعده.

رجع كاسبيان وبصحبته الرجال واجتمعوا بكوخه السري، التفوا جميعا حول أسترو.. صافحوه وبدأ أسترو يستقبلهم ويرحب بهم ويثني عليهم بكلمات إطراء:

. لقد حدثني كاسب عنكم كثيرا وحدثني عن عظمة آبائكم في إعانة كاسب لقيادة الجزيرة حتى ضحوا بأرواحهم من أجل شعبهم.. واحترمت رغبتكم في أنكم ستتخذون نفس اللقب الذي حمله آباؤكم بنفس "المقنعين السريين".. لقد حظيت بشرف لقائكم يا رجال.

ظل الرجال يترددون يوميا إلى الكوخ ومعهم أريانا، لابسين أقنعتهم التي لا تكشف بالكاد سوى أعينهم المتحمسة لما يفعلوه، يجهزون العدة لما انتظروه كثيرا، إذاقة هايدس ما أذاقهم والتنكيل به كان عددهم أربعة رجال قام أسترو وكاسبيان بتقسيمهم حسب الخبرة التي توارثوها من آبائهم.

روح القائد تمكنت منه، جعلته يتحدث بجدية منقطعة النظير:

مر نصف دوره قمرية على اجتماعاتنا التي توالت دون انقطاع واليوم وجب علي إعطاء كل رجل منكم مهامه المحددة التي سيعمل وفقها..

. المقنع الأحمر سيكون مسئولا عن الجيش معي وكذلك تجهيز الرجال بالأسلحة ومعدات الحرب وتدريبهم على فنون القتال المتعددة.

. المقنع الأبيض سيكون مسئولا عن الجنود أثناء الأوقات الطارئة في الحرب وتعداد المصابين والعمل على علاجهم ومعرفة أعداد الموتى وتشييع جثامينهم.

. المقنع الأخضر سيكون مسئولا مع كاسبيان عن إمداد الجنود وأهل الجزيرة بالطعام والشراب وفق جدول متبع وإعادة زراعة الحقول مرة أخرى.

. المقنع الأسود سيكون مسئولًا عن التجسس ومعرفة نقاط قوة وضعف العدو وطبيعة الأماكن الجغرافية وطبيعة الطقس لأي بقعة نحددها.

لقد أبقوا هذا الأمر سرا بينهم.. يتشاورون ويجمعون الرجال في الخفاء حتى يجدون الوقت المناسب للتحرك والسعي وراء مخططهم.

بدأ المقنع الأسود باختيار رجاله المعروف عنهم الدهاء والمكر وأساليب الخداع والتخفي والتنصت وبمساعدة رجاله الأذكياء قام بإمداد أسترو بالمعلومات اللازمة عن الأفراد المقيمين على الجزيرة مما ساعد أسترو وكاسبيان وأريانا وباقي المقنعين على توزيع الأفراد حسب احتياج كل مقنع فاختاروا سويا الرجال الأقوياء والشباب اليافع القادر على القتال وخوض المعارك والرجال الذين لديهم خبرة في تصنيع الأسلحة والسفن التي تنقلهم وأعطوهم لأسترو والمقنع الأحمر للإشراف عليهم وتدريبهم.

والنساء وبعض الرجال انضموا لقيادة أريانا والمقنع الأبيض.

والأولاد الصغار القادرين على نقل احتياجات الآخرين من طعام وشراب أضحوا بصحبة كاسبيان والمقنع الأخضر.

وقبل اكتمال الدورة القمرية كان كل فريق من المقنعين جاهزا بالأسماء التي ستنضم تحت قيادتهم وقام كل مقنع بتوزيع الملابس على فرقهم، كل فرقه ترتدي زيا لونه تماما كلون القناع الذي يلبسه كل رجل من المقنعين، وتم إعطاء أمر بالتجمع صباح اليوم الذي سيكتمل فيه القمر بالقرب من كوخ كاسبيان الذي سيصير معروفا لدى الجميع الآن بعد أن كان مجهولا وسرا.

وفي الصباح الباكر اصطف الجميع تحت الأشجار العملاقة المجاورة للكوخ، قام كل مقنع بتنظيم فريقه واصطفافه بالشكل الملائم..

لقد كان هذا اليوم أول خطوة لأسترو ومن معه لتجهيز الجميع وبعد اصطفاف الجميع بشكل منظم وملفت للأنظار، طلب كاسبيان

وأريانا برغبة من المقنعين أن يلقي أسترو خطابا لهذا الجمع الغفير الذي احتشد وهم متعطشون للغاية لأي كلمة تدب فيهم روح الحماسة التي انطفأت جذوتها.
تردد أسترو كثيرا لأنه لم يكن متأهبا لموقف مثل هذا ولا شيء حاضر في ذهنه ليلقيه عليهم، ولكن هذه ضريبة القيادة، التعامل مع أي موقف بذكاء وحرفية تحت أي ضغوط وفي أي وقت.

وقف يامن أمام الجماهير المحتشدة مرتديا الزي الأحمر التابع لفريقه الذي يقوده، بدأ في تحية جميع من حضروا، ليصمت الجميع ويدب السكون تحت الأشجار لا يُسمع إلا صوت العصافير المغردة فوقهم.. حتى العصافير صمتت.. احتراما لهذه اللحظة الفارقة في حياة أهل الجزيرة جميعا.

. أصدقائي أهل جزيرة دريك تاون.. أتشرف لكوني واحدا منكم.. وأخطو على أرض ذات تاريخ عريق وشأن عظيم، أنا الآن أقف أمام أنبل الشعوب على الإطلاق كما ذكرهم وسيذكرهم التاريخ.. اجتمعنا اليوم لنستعيد ما كنا عليه سابقا وكي نستعد ليوم فارق في حياة كل واحد منا.. يوم انتظره الكثيرون.. يوم يتمنى فيه الجميع الأخذ بالثأر من هؤلاء الوحوش الذين فرقوا شملكم وقتلوا أعز ما تملكون.. لا تترددوا في هذا أبدا طالما حييتم.

قال آخر جملة بصوت أسد يزمجر قبل أن ينهش فريسته بأسنانه الممتلئة بلعابه، قبل أن يكررها ثانية:

. لا تترددوا في هذا أبدا طالما حييتم..

ليلقى صيحات الرجال ترج الكون بأكمله..

يقاطع صيحاتهم مستطردا:

أرى كل من أمامي متألقين كل واحد بزيه الذي يرتديه.. تتداخل ألوانكم وأعلامكم في منتهى القوة والجمال.. فلقد حرص قادتكم على جعل كل فرقة منكم مميزة كما هو حالكم في الحقيقة.. فجميعكم مميزون، كل من أمامي الآن له دور كبير في النصر الذي سيكون حليفنا، أعملوا بجهد حتى تصبحوا جاهزين لما هو آت.

صفق الرجال وعلت صيحاتهم والنساء رقصت قلوبها كما أرادت أجسادهم بالمثل.. من شدة طربهم وإعجابهم بالكلمات الرنانة التي ظلت تطن في عقولهم.

رفع كلتا يديه يسكتهم فهناك شيء ما يريد أن يقوله:

. نحي المقنع الأحمر الذي اتخذ رمز ثورجن التنين الذي يحارب في صفوفنا شعارا لفريقه.

صفق الجميع للفريق الأحمر ليكمل باقي الفرق وألوانهم وشعار كل فريق منهم ليحيهم الجميع.. حي الحشد كلا من:

المقنع الأبيض وفريقه الذين اتخذوا الشمس شعارا لهم لما تحمله من معان سامية، فهم أشبه بالشمس التي تدب في نفوس من يشفى من خلالهم..

المقنع الأخضر وفريقه اتخذوا سنابل القمح شعارا لهم..

وآخر من حيوا هو المقنع الأسود ورجاله الذين اتخذوا رمز النسر ورجاله لبسوا القناع الأسود مثله ولم يكتفوا بالزي الأسود فقط.. ليصعب على أي أحد أن يتعرف عليهم.

وأنهى خطابه بتحية دريك تاون وشعبها العظيم.

ليصفق الجميع في شجن وقد امتلأوا بالأمل الكبير بعد خطابه الذي أعاد الحياة لهم مرة أخرى، فكل واحد قد تحمس لمهمته التي

ستوكل إليه وأحس كل فرد بأهميته وأهمية المسئولية التي سيخوض غمارها.

بدأ كل قائد بإعطاء الأوامر لفرقته..

أمر أسترو والمقنع الأحمر فرقتهم بضرورة الاصطفاف يوميًا قبل شروق الشمس لبدء التدريبات والتجهيزات.. ومن له خبرة في مجال صناعة الأسلحة سيذهب مع المقنع الأحمر إلى الكهف حيث مخزن الأسلحة.. ليقوموا بإخراج الأسلحة من هناك وصيانتها وإمداد الرجال بها وصنع المزيد منها.. بالإضافة إلى بدأهم في قطع أعداد كبيرة من الأشجار لتزويدهم بمساحة كافية للتدريبات وإقامة الموانع والأجسام التدريبية التي سيتمرس من خلالها الجنود على القتال.. ويطورون من مهاراتهم في المبارزة ورماية الأسهم ورفع معدل قوتهم البدنية..

واستخدام أخشاب الأشجار في صنع السفن وإعادة بناء أبراج المراقبة كخط دفاعي أول.. يكشف من خلاله أي شيء يقترب نحو الجزيرة.. ليقيموها في ظرف يومين في جميع حدود الجزيرة لتعطي لهم أفضليه وتأهب في أي ظرف.

وتم إقامة خيام المقنع الأبيض بجوار مكان تدريبات الفريق الأحمر بجانب كوخ كاسبيان.. مرفوعة أعلامهم البيضاء المرسوم عليها قرص الشمس، يتعلم الجميع الإرشادات الخاصة بالإسعافات الأولية للمصابين وطريقة التعامل مع الجروح ومعرفة أنواع السموم وطريقة معالجتها بالأعشاب وفي حالة الإصابات البالغة الشدة علموا بالأعشاب اللازمة لتهدئة الآلام والتشنجات وتضميد هذه الإصابات الشديدة في جميع أحوالها إن كانت إثر طعنة نافذة أو سهم قد رّمي عن بعد.

أما عن كاسبيان فقد انطلق برفقة المقنع الأخضر بفرقتهم من الأولاد إلى الكهف لجرد مخزن الطعام وكتابة المخزون الموجود به بالتفصيل ووضعا خطة تخزينية احتياطية من الزرع الذي ستكتسي به الحقول التي سيبدأن في زراعتها تحسبا لامتداد الحرب المحتمل حدوثها، يتمنى كاسبيان ألا تطول مدة هذه الحرب المقبلة عليهم حتى لا يمر أهل الجزيرة بأزمات جديدة تجعل الأوضاع أسوأ فهذه فرصتهم الأخيرة للنجاة.

عبر كاسبيان عن سعادته العارمة تجاه المقنع الأبيض الذي يشبه والده إلى حد كبير فخورا بالعمل بجانبه:

. أتدري يا عزيزي، لقد ذكرتني بالأيام الخوالي عندما كنا شبابا أنا ووالدك الذي كان رجلا نبيلا مخلصا، سعيدا جدا لكونك تشبهه كثيرا.. لدي أمل كبير أننا سننجو هذه المرة ولن يكون مصيركم مثلنا وترون مستقبلا مشرقا، لقد هزمنا من قبل ولكن الآن أسترو معنا.. ساقته لنا الأقدار، يساعدنا ويلم شملنا وكأنه نشأ وترعرع وسطنا منذ نعومة أظفاره.

رد المقنع الأبيض يبادل كاسبيان نفس السعادة التي يحملها تجاهه، ينظر إليه بعينين باسمتين:

. كل الفخر لي يا كاسب أنت قائدنا وستظل هكذا إلى الأبد، أما عن أسترو فهو يحمل من الإخلاص والعزيمة ما يمكنه من فعل أي شيء، إنها الإرادة التي لا يتحلى بها الكثيرون، ومن يتحلى بها ويسعى نحو هدفه يستطيع إدراكه، أشعر أحيانا أنه لا يعرف المستحيل ويتحلى بقوى غير طبيعية.

22

سيدة القلب

لقد أضاء أسترو عتمة الجزيرة وحول القوة التي كانوا يبددونها في خوفهم إلى رغبة في العمل والانتصار ونسيان الهزيمة التي تلقوها من ذي قبل، يذهب إلى الكهف يشجع صغار العاملين في جمع المخزون ويحمل معهم الأحمال ويساعدهم ويشرف على زراعة الحقول وريها بصحبة كاسبيان والمقنع الأخضر وهكذا يفعل مع الجميع يتنقل من فرقة إلى فرقة يتفقد أحوالهم ويشد من أزرهم.

يبدي براعة فائقة في الحصص التدريبية التي يخوضها مع فريقه والمقنع الأحمر، مبارز ماهر بالسيف ومصوب بارع بالسهام، يمسك بالسيف في خفه ويأرجح نصله وكأن السيف صديقه منذ الصغر.

يعود إلى الكوخ لينام ليلا كالخرقة البالية.. ليصحو فجرًا قبل الجميع في همة ونشاط وكأن كل يوم جديد هو تحدي آخر.. يجب أن يظفر به دون أن يظهر على سجيته أي ضجر أو قلق.

يذهب إلى النهر قبل غروب الشمس وخلوده إلى النوم.. يتأمل فيما حدث معه في كل يوم مر عليه ويحدث نفسه، ولكن هذه المرة كان شارد الذهن بدرجة كبيرة ينظر إلى مياه النهر ويحدق بها:

. تمر الأيام وفي كل مرة آتى فيها إلى هنا وأنظر إلى مياه النهر الصافية أشعر وكأنها تخاطبني وتخبرني بأنني لم أعد الشخص الذي كنت عليه سابقا ورأيته في غرفة الأسلاف بالمعبد المقدس.. ونظرات أهل الجزيرة

تؤكد لي هذا.. يستجدوني بنظراتهم التي تملأها الخوف والحيرة أحيانا لاستبدلها بالطمأنينة وأشجعهم.. أخلد إلى مضجعي.. أحمل معي همومهم وأحزانهم ومخاوفهم هذه، تؤرقني الذكريات التي خاضوها والأشخاص الذين قتلوا، كل أم وزوجة وطفل وطفلة وجندي وشيخ.. جميعهم بلا استثناء أصبحت حياتهم مسئوليتي، تذهب أحيانا بي الظنون رغم كل القوة التي تحصلت عليها إلى خيالات مخيفة.. رءوسهم على أسنة رماح شياطين هايدس القابعين هناك بعيدا وراء البحار المظلمة في تارتاروس، أزيح هذه المخاوف سريعا حتى لا تتملكني.

غدا سيكون نهاية دورة قمر فاليريا، القمر الذي يأتي مرة واحدة كل عام.. في ذكرى وفاتها..

هبطت على الجزيرة بعد ما انتهى القمر السابق لفاليريا بنصف دورة، يعني أنني قد أمضيت قرابة العام هنا.

النقوش التي على جسدي تشير إلى أن أمامي دورتين قمريتين لقمر فاليريا!

وأن لم أخض المعركة في يوم اكتمال القمر أثناء دورته الثانية.. ستؤول الأحداث إلى ما لا يحمد عقباه..

سأموت هنا دون أن أحظي بالمعركة، ستنتهي حياتي بعد أن تبدأ دورة قمرية ثالثة لقمر فاليريا في أول يوم للدورة التالية بعد المهلة المحددة لي.. لا يجب أن يعلم أحد بهذا، سأحتفظ بهذا السر حتى لا أضعفهم أو يصيبهم الهلع، يجب أن أظهر متماسكا قويا متفائلا..

وكيف لي أن أكون غير هذا!..

. النصر قد بات حقا حليفي الآن، فوجهها هو ما يمنحني هذه القوة، عيناها عندما تنظر إلى عيناي تسري بأوردة فؤادي القوة

والجمال وكأنها قد غرزت أزهارا تنمو بداخلي وما علي إلا أن أجوب الجزيرة بأسرها يوميًا حاملًا هذه الأزهار وأقوم بتوزيعها على كل من أراه أمامي، يحملون الامتنان تجاهي ولا يعلمون أنهم يجب أن يمتنوا لمن وهبتني هذه القوة والإرادة.

وإن أثقلتني الأعباء يكفيني رؤيتها صباحا والقيام بمراقبتها عن بعد تبتسم إلى الجميع.. تعيد إلى الجزيرة الدفء بابتسامتها بعد انقضاء الليل الموحش.. وترد الدفء إلى قلبي أنا أيضا..

يا ليتها تضمني ليلًا بين ذراعيها لأخبئ نفسي بداخلهم هاربًا من هواجس المعارك التي بدأت تسري في عروقي وأصبحت شغلي الشاغل.

ومن هذا الذي يستطيع أن يقول إن الجزيرة قد مست بسوء من قبل!..

مخطئ كل الخطأ من زعم هذا، فما دام مثل هذا الجمال متواجدا على هذه الجزيرة فهي بخير..

غدا يوم آخر سيغازلني دفئها صباحا ويؤرقني ليلا وهي ليست بجانبي تلمس وجهي بأصابعها الناعمة.. أتخيلها هكذا دائما، لأضم أصابعها بين يدي وألثمهم بقبلة واحتضنهم في أعماق قلبي..

آتى إلى هنا لأرى وجهي في المياه الصافية.. وجهي يتبدل سريعا بوجهها الذي ينظر نحوي ويؤنس خلوتي وتأملي.. أخاف أن أحتضن المياه فيظنوني قد جننت.. والجنون في هذه الحالة أعظم من أي انتصار أصبو إليه.. جنون أسترو بالمذهلة أريانا حكيمة جزيرة دريك تاون.

قاطع تأمل أسترو وشرود ذهنه صوت يأتي من الحشائش التي على مقربة منه على ضفاف نهر ديلف، بدأت الريبة تساوره بعد سماعه

لهذا الصوت، أمسك بمقبض سيفه وتحرك نحو الحشائش حيث مصدر الصوت.. بحذر شديد، يسترق السمع ليعلم ما بداخل هذه الحشائش، حتى سكن الصوت فأزال الحشائش فجأة ليقف حد سيفه على عنق هذا المتطفل وقد كاد أن يدقه لولا تمهل أسترو.

. أريانا، ماذا تفعلين هنا!

ارتبكت أريانا التي تأتي كل يوم لتراقبه وتتأمل سكونه.. تريد أن تدخل برأسه لتزيح عنه أي أفكار قد تؤرقه حتى لو لم يبد هذا أمام الجميع ولكنها متأكدة أنه يحمل وزرا كبيرا على عاتقه..

ولكنها استطاعت سريعا أن تجد سببا قد يكون مقنعا للخروج من هذا الموقف الصعب، ردت عليه وقد اعتلاها الفزع من سيفه المشحوذ على رقبتها.

. لقد كنت أركض وراء أرنبا بريا لأصطاده ولكنه أسرع بداخل هذه الحشائش فاضطررت للحاق به.

فهم يامن من نظراتها المرتبكة المترددة أنها هنا من أجله، أزاح سيفه بعيدا عن رقبتها فتنفست الصعداء.

ترك أسترو الحشائش عائدا إلى جلسته وأريانا تتبعه متسائلة:

. إذن ماذا لك هنا؟

رد أسترو وقد أحاط بيديه قدميه المتشابكتين وهو جالس ولوي فمه بضحكة خبيثة:

. لا شيء.. فقط آتى يوميا إلى هنا لأجلس وأتأمل قليلا قبل أن أذهب لأتفقد أبراج المراقبة وأتأكد من استيقاظ الرجال الساهرون على حمايتنا.

نظر إليها وهي تتأمل ابتسامته المصطنعة ليخجلها بسؤاله

. أأنتي متأكدة بأنك تركضين خلف أرنبا بريا!

ولكن خجلها تحول إلى ضحكة قد رنت صداها حتى ظن أسترو بأن كهنة المعبد قد سمعوها..

لتجلس بجانبه نفس جلسته يتأملان سويا الغروب.

قاطعت أريانا تأملهم بسؤال مفاجئ:

. من أين أتيت! ..

وما هو اسمك!

منذ قدومك إلينا ولا أحد يعلم شيئا عنك، كل ما قد نعرفه هذيانك عندما رأيتك لأول مرة، حتى ملابسك كانت غير مألوفة، الشيء الوحيد الذي أعرفه أنك النجم الذي أتيت لتنقذنا وأمنت بهذا منذ رأيتك.

رد مبتسما مداعبا خصال شعرها المنسدلة على وجهها بأنامله:

. ما رأيك أن تقومي أنت بتسميتي!

لوت فمها وأزاحت يده بعيدا وأدارت ظهرها له:

. أنت تمزح ثانية.

مازال ينظر إلى شعرها.. يتأمل الضفيرة الذهبية التي تنساب على ظهرها حتى الأسفل لتلامس الأرض ويرد عليها:

. أنتي تريدين الحقيقة؟

مازالت في وضعها جامدة.. تأبى أن تنظر إليه رافعة وجهها إلى السماء في غنج:

. نعم أريدها.

استدار ليجلس نفس جلستها ويرد في حزم:

. لن تصدقيها.

اعتدلت سريعا من جلستها ووثبت فوق كتفيه العريضين بيديها الصغيرتين:

. سأصدقك حتما.

أطاح برأسه إلى الوراء لينظر إلى وجهها وما زال يجلس كما كانت تجلس هي:

. لمَّ حتما؟

نظرت إلى عينيه بكل جراءة وثقة.

. لأنك أصدق شيء قد أتى إلى هنا.

اعتدل ليمسك بيديها الصغيرتين بكلتا يديه ويحتضنها بقوة وشغف ويقبلها قبلة دامية تذيب الحصار الذي كان يعزل بينهم.. ينهل من الطيب الذي يفوح من شفتيها ليجلسها في حضنه ممددين جسدهم على الأرض ناظرين إلى السماء، يرد على تساؤلاتها:

. إذن سأخبرك..

تحمست أريانا لكلماته فابتسمت وفركت أنفه بإصبعها تداعبه وقلبها يضرم بنظراته إليها وهو يتأهب أن يقص عليها:

. لقد أتيت من عالم آخر، عالم يرتاد أهله تنانين حديدية عملاقة لهم نفس ذات الجناحين ولكن ليسوا من عظام ولحم يكسوها.. إنما هيكلها من الحديد، تحلق في السماء.. وتعبر فوق البحار.. وفي كبد السماء بسرعة يكافئ بعضها سرعة الصوت.. تنقل سكان هذا العالم

بأعداد كبيرة داخل بطونها من مكان لآخر، يجلسون أمام علبًا زجاجية كبيرة الحجم مستطيلة موصلة بأطباق مستديرة عبر أسلاك معدنية.. الأطباق موجهة نحو السماء.. أعلي المنازل التي تصل إلى السحب في بعض البلاد ونسمي هذه المنازل الشاهقة الارتفاع.. ناطحات السحاب.. تخاطب هذه الأطباق كائنا ضخما يقبع في الفضاء خارج السماء ليمكن هذا الكائن الأشخاص الذين يجلسون أمام هذه العلب الزجاجية من رؤية ما يحدث في شتى بقاع الأرض.. كالبلورة السحرية التي قد تعلمي بأمرها، ينتقلون بين بلدانهم بعجلات حديدية مقفلة بداخلها العديد من المقاعد، تتحرك هذه العجلات الحديدية الضخمة على قضبان صلبة، يحدثون بعضهم بعضا عن بعد بواسطة قطع معدنية صغيرة مضيئة في حجم راحة اليد تقريبا، أنا من عالم الذهب فيه نفيس والبشر زهيد.. مثلهم الأعلى إكرام الميت دفنه وليس تخليد ذكراه الطيبة، أنا من العالم الذي خطا يوما على سطح هذا القمر الذي سيظهر بعد قليل.

كانت تنصت له كالطفلة المولودة حديثا وتستمع إلى أصوات الكبار من حولها.. يتكلمون في أمور جادة للغاية ولكن لا يعني لها شيء فقط تشويش أبله، هكذا كان حال أريانا التي كانت فاغرة فمها، تائهة في وصفه لعالمه.

. ما هذا! أنت تأتي إلينا من عالم سحري لم نر مثيلا له من قبل.

نظر إلى وجهها يتفرس فيه يحفظ أدق تفاصيله في مخيلته:

. لا أدري يا أريانا إذا كان عالمي سحريا حقا أم عالمكم؟

ربتت أريانا على وجهه المتأمل لها:

. أتمنى أن أرى عالمك هذا يوما ويكفيني معرفة أنك أسترو، الأسترو الذي أتى إلينا من عالمه السحري العجيب لإنقاذنا،، لملم أوراقك وأسرارك الخفية وأذهب لتفقد جزيرتك أيها الأسترو.

. هذه المرة سأخذك معي نتفقدها سويا.

أطلق يامن صفارته مناديا صديقه ثورجن ليأخذه بصحبة أريانا في جولة حول الجزيرة، رفرف ثورجن بأجنحته يهبط على الأرض ليقل صديقه وحبيبته أريانا .

حملها أسترو على كتفه فأصدرت ابتسامة عذبة يروق لها ما فعله.. ليصعد بها على ظهر ثورجن.. تشبثت به من الخلف.. ليحلق ثورجن وسط كلمات أسترو التي تهدئ من روعها وشدة تشبثها.

. لا تخافي يا عزيزتي، ثورجن ماهر جدا في التحليق.

ربت على عنق صديقه يداعبه بكلماته:

. أريانا تطلب منك يا صديقي أن تريها جمال السماء، أرجوك أن تحقق لها هذا.

ليرتفع ثورجن إلى عنان السماء يطوف بها الجزيرة، ويريها السماء وسحر نجومها لتشهد النجوم على جمال أسترو وأريانا الذي غطى على أي سحر آخر.

23

هايدس

يظن هؤلاء الحمقى أن باستطاعتهم مواجهتي، لا يعلمون أنهم لو أقدموا على فعلتهم هذه سأسحقهم جميعا.

ارتعدت وحوش هايدس وكل من هم في تارتاروس بعد غضب هايدس عند سماعه أخبار النجم الذي بدأ في الاستيلاء على المدن التي كانت تابعة لحكم دريك تاون قبل تفرق صفوفهم وانشقاقها، قتلوا كل الحكام الذين تفردوا بحكم هذه المدن، ومن بينهم كانوا بعض أبناء هؤلاء الحكام الذين رفضوا الإذعان لعودة المدينة تحت قيادة أسترو.

بدأوا أولًا في السيطرة على المدن الصغيرة التي لا تقوى على الصمود.. منضمين تحت راية دريك تاون.. يفتحون أبوابهم لاستقبال أسترو.. معتلي الوحش، لتزداد انتصاراتهم حتى تمكنوا من ضم أكبر ثلاث مدن بها كثافة سكانية ضخمة وتُعرف بثرائها الفاحش..

فيترا كانت أول مدينة كبيرة تمتلك أكبر أسطول بحري، تلتها سيبال مدينة الذهب والمعادن وأخرهم كانت تراقيا ذات الحصون الشاهقة التي يصعب اختراقها وبلوغها.. التي تركها الجنود المحتشدة لحراستها ومجابهة جيش أسترو بمجرد رؤيتهم لوحشه ثورجن.. هربوا في هلع، خوفا من سطوته وضخامته ولهيبه الحارق الذي يخرج من جوفه، يهابون الكسوة الحديدية الضخمة التي على فمه وجسده التي أضفت إليه قوة ورهبة فوق قوته ورهبته..

هذه الكسوة الفولاذية المصنوعة من أجود معادن سيبال وأصليها على الإطلاق، ليتولي جيشه أمر التسلل داخل المدينة بواسطة الأبراج الخشبية التي تدلف بهم داخل الأسوار وتم بهذا التمكن من تراقيا.

تم تعيين الرجال الذين يدينون بالولاء الشديد لأسترو.. حكاما لجميع المدن التي غزاها.. وبهذا ازدادت قوة دريك تاون، وكسب أسترو العديد من الصداقات وخصوصا مع من هم أذعنوا له دون قتال وأعلنوا انضمامهم له ورضوخهم لحكمه من البلاد التي غزاها.. ولم تكن يومًا خاضعة لدريك تاون.. ليستولي على كل بقعة أرض أرادها.. يزيد بهذا من أعداد جيشه وموارده وبالتالي قوته.

نزل هايدس إلى السجن الذي انغلق في ظلام مقيت على زاك، منزوي في أحد الأركان ملتصقًا بجدران الغرفة الضيقة، ينظر إليه هايدس من خلال الكوة الحديدية الصغيرة ليشعر بروحه الفاترة تئن بالداخل، يفتح السجان البشع المشوه الوجه وصاحب الهيئة المقززة باب الغرفة ليدلف إلى الداخل ويجر زاك جرا من خصلات شعره المجعدة الطويلة، حتى أصبح جسده البالي تحت أقدام هايدس.. الذي أمسك مجددًا بشعره وجذب رأسه نحوه لأعلى ليصيح في وجهه وقد علا السخط وجهه:

. والدتك على مشارف الموت.. وسأنهي حياة كاسبيان وابنتك المدللة بكلتا يديّ، لن يستطيع بوسايدون والدك.. الذي تركك بمفردك ولم تره منذ ولادتك على إنقاذك، بوسايدون هذا الذي لم تكن تعلم بكونك ابنه إلا بعدما قمت باختطافك وجعلك أسيري، لكي أشاهد كرهك له بعد معرفة الحقيقة، كنت أريد أن أرتوي بكرهك له كما كرهته تماماً، هو وجميع من هم في الأوليمب، الخطأ الفادح الذي اقترفه هو أنه أحب والدتك ولم يكن يدري بمعرفتي لإنجابها لك، غباء

منقطع النظير من إله البحار، أحب واحدة من شعب له عداء أزلي معي..

داعب هايدس ذقن زاك ثم قبض عنقه على حين غره ليستطرد كلامه:

. حجة صائبة بالنسبة لي، محرم على الآلهة الزواج من البشر ومن يفعل هذا تّقتل المرأة ووليدها، علمت لمَّ لم أقتلك وتركتك تحيا، لكي أذيقك ما أذاقني بوسايدون بصحبة زيوس.. الظلام والدماء، أقتل شعبك وأجدد العداء القديم وأمزقهم بسبب خطأ ساذج استطعت أن أستغله في الوقت الملائم ولا يستطيع أحد في الأوليمب أن ينبث ببنت شفه.

أحمر وجه زاك واتسعت أجفانه الواهية وضاق صدره من الهواء الرطب ليطيح هايدس برأس زاك بعيدًا قبل أن يلفظ أنفاسه، سعل زاك من شدة الاختناق ونظر إلى هايدس الذي يقف جامدا يتأمل جسد زاك العاري المشوه بعلامات التعذيب والحروق ليقطع شخوص هايدس بأنفاس متهدجة:

. لقد فعل هذا ليحافظ على حياتي وحياة شعبي، لم أكرهه لأنه تركني بمفردي ولم يأتي ليراني يوما لقد كان حبا منه لي ولوالدتي ويحمينا من انتقامك، إن لم يكن أبي عظيما لما كنت أغويت نيكولاس ليخوننا ويأخذ العصا من المعبد المقدس، هذه القوة البسيطة من قوى أبي كانت المانع الذي أحال بيننا وبينك، جزء بسيط من أبي لا يضاهيه أحدا.. يا عماه

تلقى زاك صفعة بعدما أمسك هايدس بتلابيبه وبعدما اشتم رائحة السخرية والاستهزاء من كلمات زاك الذي سقط أرضا دون حراك بعد هذه الصفعة المدوية.

. لقد سلبت منكم سبب حمايتكم وسلبتك أنت أيضا من وسط شعبك وأهلك وأحسست بالذل الذي يعتري بوسايدون المذنب الذي لا يقدر على التدخل أو إنقاذك، مفاتيح اللعبة بأسرها في متناولي، أحركهم جميعا كما أشتهي وأستمتع بقبض أرواحكم في النهاية، لن أكتفي بهذا أيضا سأسلب كل ما تبقى منكم إن فكر هذا المهرج الذي يمتطي غراب ديلف . أي ثورجن . وسأريهم الجحيم كما ينبغي أن يكون، وسأقطع أوصالك أمام ابنتك وسأقتلها أمام ناظريك وأقتلك من بعدها ليس بسيفي ولكن بجراحك وحسرتك عليها وعلي شعبك.

24

نيران الحب والحرب

اجتمع أسترو وكاسبيان وأريانا وكذلك رجاله، المقنعون السريين، يحتفلون في صخب بعد انتصاراتهم الساحقة التي كان أخرها وقوع تراقيا القوية في قبضتهم.

يسخر المقنع الأحمر من هايدس ويتضاحك الباقون:

. لا شك أن هايدس الآن يتوارى خلف كرسيه وترتعد أطرافه خوفا منا.

يطلق الجميع ضحكاتهم ويقاطع أسترو الحديث الساخر الذي تداوله الرجال ليبدأ ما دعاهم من أجله:

. هذا الاجتماع الأخير لنا في هذا الكوخ الذي أواني دهرا بين جدرانه، أود أن أشكركم جميعا على ما قدّم من أجلي منذ أن وطأت أقدامي على أرض الجزيرة وحتى لحظتنا هذه، لقد بذلتم جهدا كبيرا الفترة الماضية حتى صارت جزيرتكم قوية مرة أخرى .. أبية تنحني أمامها جميع الحكام والشعوب، لقد نجحنا في ما سعينا لأجله منذ البداية.. حققنا ما جمعتنا الأقدار لأجله.

ثم نظر تجاه كاسب وأريانا بكل فخر وحب:

. كل الشكر لكم لقد نظرتم إلي كبطل من الوهلة الأولى رغم شكي في هذا، لقد وضعتموني على الطريق الصحيح..

ثم حول نظره نحو المقنعين السريين:

كل الفضل يعود إليكم أنتم أيضا، أنتم الأبطال الحقيقيون، تستحقون كل الثناء على مجهوداتكم الوافرة ونبلكم الذي كان ظاهرا منذ لقاءاتنا الأولي بهذا الكوخ، أنتم حقا رائعون.

رد المقنع الأسود بدهائه:

. الحربة بدون مقدمتها الحديدية المسننة تظل عصا خشبية لا فائدة لها، هكذا نحن بدونك أيها الأسترو الشجاع، أنا فخور لأنني قد حاربت بصحبتك، ومعك إلى النهاية.

ردد الجميع بعد انتهاء المقنع الأسود حديثه:

.كلنا معك حتى النهاية وفخورون بك يا أسترو.

كانوا يشعرون بكلماتهم بقدر ما قالوها ليعبروا عن حبهم الشديد لأسترو البطل الذي أتى لهم من اللامكان واللازمان.. سر خفي من الأسرار التي لم يعلمها أحد حتى الآن، أقصى معرفتهم أنه محارب عظيم وأسطورة حية تتجسد أمامهم الآن يقودهم نحو الخلاص.. فقط أريانا هي التي تعرف جزءا من هذا السر وكان شاقًا عليها إدراكه.

أريانا التي تلمع عينها كلما سمعت كلمات المدح لأسترو.

ليقطع مدحهم بحزم شديد:

. لقد اقتربت النهاية يا أصدقائي، ثلاث ليالي بعد اليوم.. حينها سيكون ميعاد اكتمال القمر الدموي.. الوقت الأنسب للهجوم على هايدس في عقر داره وتلقينه درسا قاسيا، خاصة أن القمر الدموي سيعطي لنا فرصة كبيرة في رؤية جيش هايدس ووحوشه الطائرة المفترسة التي ستهاجم بالتأكيد أسطولنا البحري.

أومأ الجميع برؤوسهم يؤكدون حديث أسترو الصائب بمهماتهم التي تتعالي ليستدير أسترو بناظريه نحو المقنع الأحمر:

. سلاحنا السري، هل انتهينا من تصميمه كما أمرت الرجال.

رد المقنع الأحمر بكل حماسة:

. انتهى الرجال، وتم تجريبه مرارا وتكرارا حتى تأكدنا من مقدرته الفائقة على التواري والسير في أعماق ومسافات هائلة.

غمر السرور أسترو وخاطب المقنع الأحمر بكل تقدير وامتنان:

. عظيم.. دورهم مهم جدا في هذه المعركة، أتمنى أن يقوم الرجال بهذه المهمة على أكمل وجه، زاك سيكون مهمتهم.

رد عليه المقنع الأسود في وجل:

. رجالي سيتكفلون بأمر زاك بواسطة السلاح السري الذي صنعه رجال المقنع الأحمر، ولكن توخي الحذر لا شك في أن هايدس سيبحث عنك أولا.

قاطعه أسترو:

. إن أراد مواجهتي فليفعل.

ظهرت ملامح الخوف على أريانا حتى بدأ الجميع يلاحظ هذا، تركت الكوخ وخرجت منه، تنهمر في البكاء لا تستطيع أن تتخيل أسترو الذي أحبته مقتولا أمامها يوما ما، يوم المعركة يقترب وخوفها يتنامى بداخلها، لقد وجدت من أحببت، تشعر معه ما لم يسبق لها أن شعرت به.. قلقة متوجسة عندما تفكر في فقدانه، يرقص قلبها على قرع طبول شغفها عندما تراه وتتحدث معه.

خرج أسترو ملاحقا لها، يشعر بخوفها الذي يراودها ويبدد سعادتها، أخبرها سريعا بضرورة الدخول حتى لا يلحظ أحد شيئا بالداخل، تمسكت بيده وعانقته عناقا أشعل خوفها بدلا من أن يلهمها السكينة، يلتهب قلبها ويتوسله ألا يتركها، يهدئ روعها بأنفاسه ويهمس في أذنها ليطمئنها ويتركها ليدلف إلى الداخل، تتابع خطواته الرشيقة، وتجفف دموعها سريعا، لتدخل من بعده إلى الكوخ لاستكمال الاجتماع.

استكمل أسترو الاجتماع سريعا حتى لا يتثنى لأحد أن يشعر بشيء:

. هل جميع رجالنا على أهبة الاستعداد؟

رد عليه المقنع الأحمر:

. أحلافنا احتشدوا جميعا على شاطئ الجزيرة وأقمنا لهم المخيمات هناك، آخر من أتى لنا شعب سيبال.

وتابع المقنع الأخضر:

. وزعنا أنا وكاسب برفقة الآخرين الطعام والشراب على جميع المخيمات وأعددنا المؤن التي سنصطحبها معنا.

وأردف المقنع الأبيض:

. أعطينا بعض الأعشاب للرجال، وقاية لهم من أي أمراض تصيبهم بالوهن أو تضعف من قواهم.

هز أسترو رأسه وداعب لحيته الغزيرة:

. متى سيكون الوقت الأمثل للتحرك؟

رد المقنع الأسود في ثقة:

. تارتاروس تبعد مسافة تقدر بليلتين، لذا يجب علينا التحرك غدًا مساء، لنصل في الوقت المناسب.

. إذا سأتفقد سلاحنا السري في الصباح الباكر، انتظارًا لاحتشاد الرجال في المساء.

تصافح الجميع بحرارة، متأهبين ليوم غد وما سيتبعه من أحداث ظلوا ينتظرونها، تصرخ الدماء من قلوبهم والحماسة تنبثق من أعينهم، أما أريانا تكتفي بالنظر إلى أسترو في حيرة، كطفلة في متاهة لا تعرف طريق خروجها، تغادر الكوخ أولا بعدما صافحت الجميع.. وأخرهم أسترو الذي انتفض كيانها عندما لمست يده في تلك اللحظة.

عادت أريانا إلى الكهف، تزرف الدموع طيلة عودتها، تساورها المخاوف فليس هنالك وسيلة لبقاء أسترو فهناك احتمالان يفزعانها دائما لا ثالث لهما.

. إما سيقتل بالمعركة على يد هايدس، وهذا الاحتمال تطرده من مخيلتها سريعا، لأن هذا التخيل له القدرة على إنهاء حياتها كليا وإلي الأبد..

والاحتمال الآخر..

أنه سيعود أدراجه ويختفي في وسط لهيب المعركة دون أن تراه وسيكسر قلبها إلى الأبد، ولن تراه ما بقي من حياتها، وسيصبح ذكرى تتغنى بها إلى الأبد عندما تصبح عجوزا واهية مثل جدتها، وهذا الاحتمال قد استقرت عليه أخيرا ولم تفتأ أن تفكر به دائما، يكفي أنه بقى على قيد الحياة، وسيتذكرها كما ستفعل هي دوما.

لاحظت الجدة كير شرود أريانا منذ دخولها، لم توجه أريانا الحديث إلى جدتها وانكبت على مضجعها دون حراك لتقطع شرودها الجدة:

. ما بالك يا عزيزتي.. لا أحب أن أراكِ تعيسة أو يبلل الدمع أجفانك الشفافة، بالطبع أنا أعاني من المرض ولكن لم يمرض قلبي بعد وأستطيع الشعور بك يا ابنة.

تركت أريانا مضجعها وارتمت في أحضان جدتها الهزيلة، طوقتها بذراعيها ونشجت في ألم.. تضمها الجدة نحوها وتداعب خصلاتها البريئة:

. لقد أحببته كثيرا، ليس من حقه أن يتركني.

طوقت الجدة بكلتا يديها رأس أريانا، تحملق في عينيها الباكيتين في لين:

. أنا أعلم هذا يا فتاتي الجميلة، قلبك متعلقا به، يرفض أن يتركه في سبيله الذي قُدر له، استريحي وهوني على نفسك يا ابنة، لقد اجتمعتما بدون سابق ترتيب، ومن يعلم ربما يبقى وربما أيضا يذهب وتجتمعا بعد ذهابه مرة أخرى، كما حدث عندما أتى غريبا إلى هنا.

نظرت أريانا إلى جدتها وقد استطاعت كلمات جدتها البسيطة أن تُذهب عنها الحزن قليلا ولو لفترة ضئيلة تستطيع فيها النوم.

. أتمنى ألا يفارقني أبدا يا جدة.

يحرق الشوق أجفانها، وتتلوى في مضجعها, كالثعبان الذي قُطعت رأسه..

لا يختلف عنها أسترو كثيرا..

حيها سماء.. وهو طير يحلق فيها، شفتاها ينبوع ماء يروي ظمأه وينهل من ريقها العسل.. إنه الشقاء والشفاء، النور والنار، الحياة والموت، الجنون والتعقل، إنه العشق الذي قتل الكثيرين.. وأسعد قلوب المحطمين البائسين، وداوى وحدة المهملين المتروكين من

المتعجرفين الذين يحاوطونهم، نهاياتٌ سعيدة وأخرى مرعبة.. لا أحد يعلو فوق سطوة الحب ولا أحد يهيمن عليه، له أسراره ومفاجآته، يتوقع منها أريانا وأسترو الأسوأ على الإطلاق، ليعودا إلى وهم الواقع الذي صُّنع بالأمل الواهي، أمل الحياة والموت سويا، إنجاب الأطفال وممارسة العشق المجنون الذين تاقوا إليه.. وتمكنوا منه بعد عناء، تتجرع العشق في كؤوسه وتلتهم السعادة من أكفه التي تلمسها، الأذرع تتشابك والأحضان تتعانق والنوم يسيطر على العقول ويفض الشفاه المتشابكة بالقبلات، ليسدل الستار على تخيل العاشقين وأحلامهم.

24

إلى البحار المظلمة

أزاح أسترو الغطاء من على وجهه لتصطدم يده المزيلة للغطاء بشيء معدني، دَبَّ صدى الصوت في أرجاء الكوخ، انتفض أسترو سريعا، درع معدنية دائرية، لونها فضي، مرسوم في منتصفها رمز زيوس.. هيئة النسر.. وتحيط به الرماح من كل الجوانب.. باسطًا أجنحته لا تستطيع الرماح النيل منه، وبجانب الدرع سيف فضي اللون نُقش عليه نفس الرمز، الدرع والسيف يلمعان ويتوهجان.. ذُهل أسترو لما رآه، لون قرمزي يخالطه لون زرقة السماء في الغروب وتوهج شمس الظهيرة ينبعث من الدرع والسيف، سترة للقتال قد رُصت بجانب الدرع والسيف.. لونها نحاسي، مرصعة بجواهر جميلة.. منقوش على السترة وجه ثورجن.. فاغرًا فاه الذي يتدلي منه لسانه المشقوق وهو ينفث النيران، وخوذة.. تشبه السترة إلى حد كبير، في منتصفها لؤلؤة مشعة لا ينطفئ وهجها الأبيض.. تستطيع الخوذة أن تحيط الوجه بالكامل.. تاركة فتحات صغيرة للغاية ولكنها تساعد على الرؤية الواضحة الدقيقة.. تظهر الأنف المدببة لأسترو من خلال الخوذة لتعود ثانية لتخفي صدغيه وتنم عن شفتيه الغليظتين.. يعلو الخوذة عمود نحاسي رفيع أعلاه جندل أسود يتدلي منه شعر أفروديت الأحمر، خلع الخوذة التي ارتداها وتأمل جمالها في انعكاس الصورة التي تكون على الدرع الفضية.

أخفى مقتنياته التي وهبتها له الآلهة بداخل دولاب كاسب الخشبي.. الذي لمحه وهو يتأمل الخوذة النحاسية.. ويلامس ببنان أصابعه الجوهرة المضيئة وجنادل الشعر الأحمر، كاسب يعلم بما أرسلته الآلهة وترك الكوخ يختلس النظر بالداخل كل حين، ينتظر ردة فعل أسترو عند رؤية هذه الهدية الثمينة.

نقش آخر قد خُط على جسد أسترو، شعار زيوس على جسده، النسر الشامخ يزين جلده الخمري، لم يعد هناك الكثير من الأماكن للنقش على جسده، يجب أن يستكمل جميع النقوش حتى يتثنى له الحياة بل وإنهاء المهمة في وقتها المحدد لها.

ارتدي أسترو ملابسه وأنطلق نحو الشاطئ...

حيث كانت توجد منازل أهل دريك تاون في السابق، قبل دمارها، حيث تم إنشاء خيمة كبيرة على طول المنحدر.. حاوط هذه الخيمة الجنود، وُضع السلاح السري تحت حراسة مشددة للغاية من قبل رجال المقنع الأحمر والأسود، سلاح استراتيجي مهم في معركة مصيرية.

وصل أسترو الخيمة الكبيرة وألقى على الحراس التحية وكان المقنع الأسود والأحمر في استقباله.. دلفا سويًا إلى الداخل.

أشاد أسترو على العمل الرائع الذي أظهره الرجال..

. حسنا قد فعلتم يا رجال، لقد صنعتم ما أردت بالتحديد، ستكون هذه الآلات مفاجأة لهم لن يتوقعوها.

رد عليه المقنع الأحمر بكل فخر..

. لقد عمل الرجال على قدم وساق لإنهائها في وقت قصير.

وأستطرد المقنع الأسود

. إنها تحفة حربية لم أر لها مثيلا، قوامها المعدني وحجمها الذي يناسب فردا وحدا، وقدرتها الرهيبة على الغوص في أعماق المياه والتخفي أمر يثير الاندهاش، عمل رجالي على اختبار قدراتها والغوص بها لمسافات كبيرة وقد تمكنوا منها، وصار استخدامها شيئا يسيرا عليهم.

. كم اخترت من الرجال؟

. عشرة رجال بارعين للعشر آلات وأنا سأكون من ضمن العشرة رجال.

. رائع، أخبرهم بالخطة التي سينفذونها على أرض المعركة، وأعطهم الملاحظات الهامة لتفادي أي أخطاء أثناء تنفيذ المهمة.

. سأفعل يا سيدي.

أشار للمقنع الأحمر

. أعطي الأمر للرجال بالاصطفاف هذا المساء، للإقلاع نحو تارتاروس.

. علم وسينفذ يا سيدي.

ترك أسترو المقنعين وعاد مرة أخرى نحو الكوخ وتركهم يوزعون المهمات على الرجال.

حظي الرجال بليلة رائعة ملأتها جلبة الصخب، يرقصون ويشربون ويأكلون الليلة البائدة بأكملها، وجاء إليهم نبأ الاستعداد للتحرك ليلاً.. فأطفئوا النيران التي أشعلوها.. وأزالوا آثار الخمر من عقولهم.. وبدأوا يجهزون العدة للمعركة.. مصطفين بكامل قواهم وكامل عتادهم.. لابسين زيهم الأحمر وفوقها السترات الحديدية وكل محارب منهم يمسك

بسلاحه الذي يبرع في استخدامه.. يرفعون شعار ثورجن على أعلامهم، الذي يلمع شعاره على ضوء المشاعل، ينتظرون أمر الإقلاع.

عندما عاد أسترو إلى الكوخ وجد كاسب ليس هناك، أخرج الهدايا التي أرسلت من الأوليمب.. يتأملها.. ويتحسس جمالها الصارخ.. انعكاس وجهه الذي ارتسم على الدرع، ذقنه الطويلة وشعره المجعد الذي تخطى صدغيه وقسمات القوة قد ارتسمت على جبينه.. خطوط المحارب قد صارت كالجرح الغائر في وجهه قبل أن تكتسح كيانه، حينها كانت الشمس شارفت على التواري..

وصوت كاسب من الخارج يناديه:

. السفن جاهزة يا أسترو والرجال منتظرون جميعًا على شاطئ الجزيرة في انتظار إعطائهم أمر التحرك.

رد عليه أسترو بصوت جهوري حتى يتثنى له السماع بالخارج..

. أمهلني قليلًا يا كاسب وسأكون خارج الكوخ، سنتحرك سويًا ذاهبين إلى الشاطئ.

ارتدى أسترو الرداء الخاص بفريقه الأحمر، ثم لبس من فوقه السترة الحديدية المعدنية الأنيقة.. واقترب نحو الخوذة النحاسية التي تتدلى منها خصال أفروديت.. يحملق في اللؤلؤة المضيئة التي تتوهج وتشتعل بهذه القوة والجاذبية، لمس اللؤلؤة بأطراف أصابعه، ليس هنالك حرارة تنبعث منها، قطعة من الجليد تثلجه عند اللمس.

شرد ذهنه أثناء حملقته في الجوهرة الثمينة..

وجد نفسه أعلى قمة جبل المعبد المقدس يرى صفوف جيشه المصطفة من قمة الجبل.. وبعيدًا عن أرض القمة وأمامه في السراب الذي لا يستطيع الوصول له.. تراءى له ما أراده دائما..

. والدتي.. ماذا أتى بكِ إلى هنا؟.. تبدين في غاية الجمال كالوردة المتفتحة في ربيع الفصول، وما خطب هذه الثياب البيضاء الجميلة التي ترتدينها؟

صوتها الحاني دغدغ مهجته، وقرع طبول أذنه الرقيق ورسم الراحة على وجهه:

. جئت لأراك وأشد من أزرك كما كنت أفعل دائمًا معك يا صغيري.

رد أسترو في حزن وهو يحاول تخطي قمة الجبل، ويرى الهوة أسفله وهي ما زالت في غير متناوله:

. أنا لا أستطيع أن أصل لك، أريد أن ألمسك وأشعر بك مرة أخرى، أريد أن أرتمي بين أحضانك.

. عزيزي.. لقد قطعت شوطًا كبيرا، وخضت تحدي عظيم، يجعلني فخورة بك إلى أن أراك، لا تتوانى عن تحقيق انتصارك، أنت تستطيع يا بني فعل أي شيء، لا يحزنك ما قد مضى أو حدث قد مررت به يوما، أنت الآن أسترو البطل، الكل يفخر بك ويتمنى أن يحذو حذوك، أنت الأسترو يا عزيزي..

صاح وقد تهدجت أنفاسه ورق الدمع من عينه:

. لا أريد أن أصبح بطلًا أو أسترو، يكفيني أن تعودي إلي ثانية.

حدجته بنظرها الشيء الذي جعل جذوة ثورته تنطفئ قليلاً:

. ثمة أشياء تفقدها، وتظن أنك أصبت بالوهن والضعف.. لا تستطيع الصمود.. لو نظرت بداخلك عندما تظن ذلك ستجد ما فقدت، أنا ما زلت هناك بداخلك، وأنت أصبحت أقوى من أي وقت مضى، فلتفعلها من أجلي.

شعر أسترو بهزة عنيفة في جسده، أحدهم يمسك بتلابيبه، كاسبيان يصيح به.

. أين أنت أيها الأسترو، ألا تسمعني، أفق... أفق..

أفاق أسترو من الخدر الذي أصابه وحول ناظريه عن اللؤلؤة التي أنطفأ توهجها، لقد كانت رسالة له وها قد استقرت في صميم قلبه وقاع عقله.

. لقد تأخرنا وقد وجب علينا التحرك السريع، يجب أن نصل في الوقت المناسب.

. أنا جاهز يا كاسب ولكن لدي طلب، أرجو منك أن ترضخ له وألا تجبرني أن يكون أمرا.

أثار أسترو حفيظة مخاوف كاسب بحديثه الذي أصابه بالتوتر.

. تفضل بالقول.

. ستبقى أنت وأريانا هنا بالجزيرة ولن تأتيا معنا إلى المعركة، لا نريد خسارة المزيد، يكفينا زاك، أنا خائف خسارة ثلاثتكم دفعة واحدة.

. أنت تطلب المستحيل.

. أنا لا أطلب المستحيل، أنه الحل الأمثل، وقد وصلت إليه وأخبرتك به.

. ولو رفضت طلبك.

. سأحتجزك حتى أتحرك بالجيش وأصل إلى تارتاروس.

. فلتفعل ما شئت.

دفع كاسب أسترو وركض خارج الكوخ في لمح البصر وامتطى صهوة جواده وتوارى بعيدا، قبل أن ينهض أسترو بجسده ويتمكن منه.

في عجل يقصد كاسب وجواده الرجال المحتشدين للمعمعة التي ستحدث عما قريب، أندس وسطهم حتى لا يعثر عليه أسترو.

يحدث نفسه في تحدي:

. لقد أردت دومًا أن أخذ بثأر قومي، وأذيق هؤلاء الجرذان ما أذاقونا، عناء الفقد والموت والحسرة على شعبنا.

ينوي العزم على القتال مع شعبه وعدم التخلي عنهم في هذا الوقت الحرج، يكفيه أن يرى هايدس وأعوانه يقهرون أمام ناظريه.

علم أسترو أن محاولته بائسة لا محالة، وليس هناك مفر من انضمام كاسبيان، لذلك لم يرد مقاومته أكثر من ذلك، سيسنح له بالفرصة التي يتمناها، فرصة نيل مبتغاه، رغم قلق أسترو على مصير كاسب المحتمل، ولكنه سرعان ما تناسى هذا القلق، فلا وقت لهذا الآن، فقد فات أوان القلق وآن أوان الشجاعة وروح الانتصار اللذين زُرعوا بداخله، ونقلها إلى نفوس من حوله طيلة الفترة المنصرمة حتى تمكنوا من هذا ونجح في مساعدتهم.

صافرة النداء أُطلقت بمجرد خروجه من الكوخ.. صافرة ثورجن.

تجمل ثورجن بكسوته الحديدية الجديدة التي صنعت خصيصاُ لهذه المعركة، ألبستها إياه أريانا وبعض رجال الفريق الأحمر، ينتظر الصافرة التي تدعوه لإذابة أجساد الملاعين وصهرهم بلهيبه الحارق الخارج من جوفه.

نار حارقة مميتة لهم ولكنها تحي آخرون وتعطي لهم الأمل في الحياة وتجلب لهم لذة النصر وعنفوان الانتقام.

يسمع الصافرة..

يتحقق له ما ينتظره..

يبسط أجنحته في سماء الجزيرة وكأنه يحتضنها هي ومن عليها من بشر وأشجار وطيور وحيوانات، الانتقام انتقامه هو أيضا، انتقامه الذي خُلد من أجله.

طوي أجنحته، نزل بجانب الكوخ، حيث أسترو في انتظاره، امتطاه أسترو وجلس على ظهره، في جزء مقعر، قد خُصص لراكبه، يرتفع ثورجن مرة أخرى، قاصدين هدفهم بلا تردد أو هوادة، وما هي إلا لحظات مرت مرور النسيم بين الزهور، وفي هدوء يسبق العاصفة وصل ثورجن ومعتليه إلى شاطئ الجزيرة.

ترجل أسترو من على ظهر ثورجن وتقدم إلى الأمام، نحو المقنعين السريين، يصافحهم ويسألهم:

. هل رأيتم كاسبيان وسط هذا الجمع الغفير؟

نظر الأربعة رجال لبعضهم في حيرة.. أيخبرونه عن أمره ويفشوا بمكانه.. أم يتركون كاسب يحقق ما يصبو إليه.

رد المقنع الأسود وقد شابه التردد والتخبط..

. لقد كنا منشغلين بتدبر أمور الجميع هنا، لا وقت لدينا لمراقبة أحد.

رد المقنع الأسود لم يقنع أسترو الذي تغاضى عن الاستطراد في خوض المزيد من التساؤلات حول كاسبيان.

أعطى أسترو أمر التحرك للقوات المحتشدة، صعد الجنود على متن السفن، ورفعت كل سفينة شراعها وتزينت الصواري بالألوان الحمراء التي اكتست بها، مرسوم عليها شعار ثورجن، لتتوجه دفة السفن نحو تارتاروس، تشق طريقها نحو هدفها.. كوحوش الميجالدون التي تتحرك نحو طرائدها من الفرائس بكل وحشية.

وما أن تحركت السفن بمدة وجيزة وبدأت في الابتعاد عن الشاطئ، أمر أسترو بتحرك خطوط الهجوم الثانية.

السلاح السري..

لقد استطاع الرجال بفضل توجيهات أسترو وخبرته البحرية السابقة التي أخفاها عن الأنظار في صناعة الغواصات، لقد كانت هذه الغواصات بمثابة إعجاز لا مثيل له، خلبت ألبابهم جراء قدراتها العجيبة، أطلقوا عليها لقب الحيتان السوداء، وتم اختيار عشرة رجال ومن ضمنهم المقنع الأسود ليقودهم في المهمة الموكلة إليهم، لقدرته الفائقة بصحبة رجاله في القتال والتسلل، دورهم محدد وتدخلهم سيكون في مرحلة بالغة الدقة، الانتظار حتى تشتبك القوات مع جحافل هايدس، وبعد الاشتباك يأتي دورهم.

دخل الرجال غواصاتهم، وأغلقوا قمرتها، وتحركوا وراء خطى السفن التي سبقتهم.

نظر ثورجن إلى صديقه.. القائد أسترو الذي تضيء أضواء مشاعل السفن المتدافعة على وجه المياه عينيه، يصدر ثورجن تهدجا مشتعلا من حنجرته، يحث أسترو على الانطلاق سويا، خلف جيشهم الذي يتألق في قلب المياه ويملأ الأرجاء.

أضاء ثورجن عينيه المتخفيتين وراء القناع الحديدي الذي يلبسه، وكز على أسنانه مستعدًا للتحدي والقتال بل ولا يسعه الانتظار حتى ولو طرفة عين.

نظر أسترو إلى ثورجن الذي لمع جسده الأسود الذي أتشح بلون القمر الدموي.. واشتد تحفزه، يحس بما يريده، يمتطيه في وثبة واحدة تودي به أعلى ظهر ثورجن، ليحلق فوق أسطوله وجيشه الذي يملأ البحر، جيش جرار، يعقد العزم على الانتصار ولن يتراجع عن نواياه

وعزمه مهما تكالبت عليه المصاعب، كل فرد أتقن دوره ويستعد للقيام به على أكمل وجه.

المقنع الأحمر في المقدمة يقود جميع السفن ويعطيهم الأوامر بالتحرك في المعركة، وذلك تحت قيادة أسترو..

ومن خلفه المقنع الأبيض والأخضر بصحبة أكبر السفن وأقوى الرجال بالخطوط الأولى للقتال والمجابهة.

وفي الأعماق يغوص المقنع الأسود ورجاله يتبعون خطى السفن، في حيطة وحذر، منتظرين لحظة الحسم المنشودة، هادئون قابعون في قلب الحيتان السوداء الحديدية.

هكذا أبحرت السفن في المياه الواسعة حتى إشراق الشمس وانتصافها، شمس الظهيرة وحرها القائظ في عنان السماء يلهب قلوب الرجال الذين توقفوا قليلاً، قسط من الراحة لا بأس به في هذا الوقت، تناولوا طعامهم وشرابهم، وأراحوا أنفسهم من ثقل ستراتهم وأسلحتهم.

كذلك أسترو الذي استقر على رقعة أرض صغيرة في قلب المياه، لإراحة ثورجن الذي تركه وتوارى للحظات، أختفى في قلب المياه ولم يخرج من داخلها إلا بفريسة ثمينة، سمكة كبيرة الحجم قد ألقاها أمام أسترو الذي يتجرع القليل من الشراب الذي يحافظ على طاقته، يلتهم ثورجن السمكة في نهم شديد، ثورجن جائع ولا شيء مخيف أكثر من وحش جائع، التهم صيده وجلس بجانب صديقه أسترو، حتى يأذن للجميع بمواصلة المسيرة.

ارتدى الجنود مرة أخرى ستراتهم الحديدية فوق زيهم الأحمر، ممسكين بأسلحتهم، كل مقاتل له سيف ودرع حديدي يقيه الصدمات

وضربات العدو أثناء المعركة بجانب رمح شديد المرونة، مثبت خلف ظهورهم في ستراتهم، لاصطياد الأهداف البعيدة عن مرمى سيوفهم.

هذا بالإضافة إلى رماة الأسهم، حدة البصر وسرعة البديهة سمتهم والدقة حليفتهم، يصطفون بالسفن الخلفية يلتقطون الأهداف البعيدة قبل اقترابها لتسهيل المهمة على السفن الأمامية، يستغنون عن الرماح ويجيدون التنكيل بضربات السيف، هذا في حالة عدم جدوى القوس والسهم واقتراب العدو.

ومع غروب الشمس أمر أسترو بالتحرك، والتسلل خفية إلى البحار المظلمة المخيفة التي يفوح منها رائحة الموتى، وتعج بواطنها بالمخاوف.

تحركت السفن حتى وصلت إلى مشارف البحار المظلمة في الصباح، سفن محطمة طافية على وجه مياهها الضحلة التي تشبه مياه المستنقعات المليئة بالروث، حبس الجميع أنفاسهم والتزموا الصمت، لا يُسمع إلا صوت أزيز السفن السائرة في وجل وحذر شديد، طأطأ الجميع رؤوسهم عندما عبرت السفن لبوابة مهدمة وسط المياه وتفادت باقي السفن التي لم تجد طريقها للدخول عبر هذه البوابة، النتوءات الخارجة من بقايا البوابة، يبدو أنها كانت بوابة العبور لمدينة ما وفقدت وابتلعتها البحار المظلمة ولم يبق منها سوى هذه القطع الحجرية وبقايا بوابة ضخمة، استمر الجميع في أخذ حيطتهم وحذرهم وحلق ثورجن على ارتفاع شاهق، جناحي ثورجن قادرين على صنع دوامات تهز المياه لو تحرك بهم بالقرب من المياه، يتسلل كقط حذر، يأبون إثارة الوحوش التي تغط في النوم داخل جوف مياه البحار المظلمة، من الغباء نشوب حرب لا قيمة لها في هذا الوقت الحرج، ستكون كارثة لا محالة، الشمس تغرب وتاروس تقترب، القلوب تخفق، البطون تضطرب، الأنفاس تتهدج، العرق يترقرق، الأقدام

ترتعش لاتصلب على الوقوف، الأجفان تهدل، الرعب يدب في داخلهم، يشد قادتهم على أيديهم، يخففون وزر المعركة ولقاء جحافل هايدس، يتمالكون أنفسهم قبل الاقتراب من جبل تارتاروس، هذا الجبل يبعد أميالا قليلة عن المياه، ولا توجد إلا بوابة وحيدة له، يعبرون البحار المظلمة وينسدل قمر فاليريا، يزداد اطمئنان الرجال برؤيته وتنقشع غمة الخوف عنهم، ها هم وصلوا في الوقت الذي خُطط له، يرون قمة تارتاروس على أضواء القمر الدموي بعدما أطفئوا مشاعلهم قبل خوض البحار المظلمة وحافظوا على بصيص منها لرؤية مرضية، وإطفاء جميع المشاعل قبل عبورهم للبحار المظلمة كان يثير بداخلهم الريبة والوجل.

25

الأخذ بالثأر

في قلب ظلام تارتاروس تتحرك حدقتا عين، سوادهم مرعب، وغضبهم قاتل، وأيدي مخضبة بالدماء تتحين الساعة التي تقترب فيها السفن، يزفر أنفاسه ويغلق عينيه ويهمهم:

. أراهم يقتربون نحوي.. أشعر بحرارة دمائهم ورائحتها، هذه الدماء التي ستسيل لتملأ الأرض والماء.

أعطي أمر لشياطينه وحيواناته المفترسة التي احتشدت في جميع أرجاء العالم السفلي، يملئون الشقوق، متسلقين الأعمدة، لا يتركون ذرة في العالم السفلي إلا وأجسادهم تحط فوقها، وبعض منهم لم يجد مكانا لسماع هايدس فتسلق الأعناق.

الأمر كان الاستعداد للمعركة التي على وشك النشوب..

يتحدث بصوت ماكر بغيض:

. أعلم تمام العلم أن أجوافكم تتعطش للدماء وأسنانكم قد سُنت لنهش الأجساد وتكسير العظام، لكم ما أردتم.

هاجت وماجت مخلوقات هايدس مهللة لما سمعوه، سيدهم يأمرهم بما يجيدون فعله، ممارسة طقوس أكل اللحوم وسفك

الدماء، الطقوس البغيضة، المبجلة لديهم، تقطيع اللحم إربًا إربًا بمخالبهم وأسنانهم المرعبة..

مخلوقات دنيئة.. البعض منها يشبه البشر إلى حد كبير ولكنهم بدون أرواح، أرواحهم مسلوبة، وإرادتهم غائبة، يتحركون وفق هوى هايدس، ينفذون أوامره، جلدهم شاحب اللون وأعينهم أحداقها بيضاء زلالية لا لون لها، حركتهم عنيفة سريعة، ضرباتهم شديدة العزم والقوة.

والبعض الآخر منهم..

شياطين مخيفة الشكل، ذوو بشرة شديدة السواد القاحل، تكتسي أجسادهم بالشعر الأسود بغزارة شنيعة مقززه، رؤوسهم عريضة الجبهة ونحيلة الصدغ، الفك أسنانه كثيرة ليس لها عدد محدد.. متراصة على بعضها في ثلاثة صفوف لكل فك، أعينهم غائرة في محاجرها، آذانهم كآذان القطط.. صغيرة.. سوداء اللون.. هكذا كان أيضًا لون بشرتهم، أظافرهم طويلة، الأقدام أقدام ذئاب ولكنها كبيرة ومدببة، والأيادي أيدي الطيور الكاسرة وفي كلتا الحالتين من الأقدام والأيادي.. المخالب شرسة للغاية وضربتها مميتة تشطر ماموثا ضخما نصفين، على مؤخرة أجسادهم أذيال طويلة منتصبة، الغالبية العظمى لها أجنحة يطيرون بها والباقون من هذه الفصيلة.. ليس لديهم أجنحة، ولكنهم يثبون وثبات متتالية سريعة في لمح البصر.

وباقي الفئات..

وحوش متعددة الأذرع والأعين لها القدرة على التخفي أثناء القتال والتحرك بسرعة ورشاقة كبيرة وكلاب قبيحة الوجه.. لا ذيل لها.. يسيل اللعاب من فمها الفاغر على مصراعيه، تشوه أوجهها وأجسادها الندبات والجروح.

جيش قاتل.. لا ينجو أحد من قبضته ولا يسلم إنسان من شره.. وحوش لا تعرف معنى الرحمة.. يدنسها القتل والانتقام.. لا قلوب لهم.. دماؤهم سوداء كالطين النتن.. يقتلعون الرؤوس ويلتهمون القلوب ويشقون الحناجر والبطون.. التلذذ والانتشاء هدية لعينه يهدونها لأنفسهم بعد هذه الأفعال المشينة.

يركضون خارج تارتاروس بكامل أعدادهم استعدادًا للحم الطازج والوليمة الفارهة التي أتت لعقر دارهم.

اقتربت السفن وبدأت الوحوش في الصياح والهياج، كشروا عن أنيابهم واتسعت أجفانهم، لم تكن سفنا كثيرة، ثلاث سفن فقط.

انتشت الوحوش، يلوحون بمناجلهم القاطعة وأسلحتهم الدامية من فؤوس وسلاسل معدنية والعديد من الأسلحة الأخرى، لم يكتفوا بمخالبهم بل استعانوا أيضًا بأسلحة فوق أسلحتهم الفطرية، تدب في أوصالهم شهوة الدماء، ينطلقون نحو السفن الثلاث في قلب المياه، عاقدين النوايا الخبيثة على أن يدكوها ويسحقوها عن بكرة أبيها، تدافعت الوحوش نحو السفن، يتقاتلون فيما بينهم ويطرح كل منهم الآخر أرضا، يريد أن ينال كل وحش حصة أكبر من هذه اللحوم البشرية السهلة المنال بالنسبة لهم.

يخوضون بأجسادهم في المياه ويسبحون تجاه السفن، يتسابقون ويتبارون، ليصبح في مقدمة النزال الوحوش ذات الأجنحة بأعدادها الكبيرة، يحلقون نحو السفن التي بدأت في الاستدارة والابتعاد عنهم عائدة إلى الخلف.

ازدادت جرأة الوحوش وسرعتها، يمنون النفس بالاقتراب من وليمتهم قبل أن تولي دابرها.

تحط أرجلهم على السفن..

لا وليمة!

السفن خاوية ليس بها أحد!

سبب عودتها إلى الوراء هي حبال قد ربطت بها هذه السفن وهناك شيء ما يجذبها إلى الوراء، تُركت الحبال لتغوص إلى قاع المياه بمجرد أن حطت الوحوش على متن السفن الفارغة.

يبحثون عن الوليمة التي أتوا من أجلها.. ولكنهم لا يجدون شيئاً.

ليس على متن السفينة إلا بعض البراميل الخشبية التي يخر منها شيء، قطرات من سائل له رائحة نفاذة وغريبة تجري على ظهر السفن، طهرت هذه القطرات أقدام الوحوش الدنسة التي تشبعت بها منذ أن حطت أقدامها على السفن.

وما أن ربت أسترو على عنق ثورجن ليترك الحبال، تقدم ثورجن خطوات قليلة للأمام جعلت البراميل في مرمي بصر صديقه، تمتم بلهجة غريبة أشعلت كلماته جذوة نار في يده، أشعل بها سهمًا وشد باليد الأخرى قوساً، ليترك السهم قوسه صوب برميل معين، تم اختياره بعناية، يرشق السهم في البرميل فينفجر انفجارًا مدوياً، تتطاير من إثر الانفجار أشلاء الوحوش، تنغرس أسلحة الضحايا في أجساد من حولهم..

جلبة صياح مدوية تعلن عن انتصار مبدئي يأتي من العدم، صياح قد رج تارتاروس بأكملها وضج مسامعها، تنظر الوحوش الناجية من الانفجار واللهب الذي التصق بأقرانهم، لا يجدون شيئاً..

اعتلت الابتسامة وجه أسترو وهو ينظر إلى ثورجن:

. يا لهم من أغبياء.. يبحثون عن وليمتهم الخاصة.. ولا يعلمون أنهم مدعوون إلى حفل شوائهم الليلة.

مد أسترو بيده اليسرى نحو الأمام في إشارة منه إلى التقدم، الصياح يزداد، تنظر الوحوش فلا تجد شيئا..

لقد ظهروا، ها هي وليمتهم قد لاحت في الأفق، لقد كانوا متخفين، وراء عازل سحري قد صنعه أسترو، حجب رؤية الوحوش عن السفن وأظهر لهم الشرك الذي قد نصب لهم، حتى ما أمرهم بالتقدم، تخطوا حدود العازل السحري، لتشتعل رحى المعركة في أسبقية لهم في النزال والفتك بأجساد هذه الجحافل، بداية تعني لهم الكثير وترسم لهم فيضا من الأمنيات، أقلها أن يظفروا بالمعركة، ويعود الجميع إلى ديارهم سالمين.

لكن لا مجال لهذا التفكير الآن..

الوحوش قد أُستفزت بنجاح، والسخط قد هشم رؤوسها وزاد من توحشها، مستشيطون غضبا، يريدون الفتك بجنادل أسترو الشجعان الساميين..

رفع أسترو يده اليسرى..

. الرماة يستعدون.

تقترب أجساد الوحوش الطائرة المتعفنة والسابح منهم في المياه، أضحوا على مرمى من السهام في هذا الحين

قبض أسترو يده اليسرى ومدها للأمام وصاح كهزيم الرعد في السماء يزلزل الأسهم ويتوعدها بالعقاب إذا غالطت هدفها..

. الرماة تصوب.

صوب الرماة نحو أهدافهم مرة تلو مرة يأمرهم فيها أسترو بالتصويب.

لقي بعض الوحوش سبيلها إلى ظهر السفن، يشتبكون مع الجنود الذين تأهبوا لملاقاة هذا المدد الشيطاني المخيف، يتقاتلون على ظهر السفن مع الوحوش الهابطة من الأعلى والخارجة من قلب المياه، وثورجن وأسترو يطوفون حول السفن المتقدمة للأمام، يقتلون الوحوش المجنحة ويصرعون المتسلقة السفن من قلب المياه قبل وصولها للرجال بالداخل، ينفث ثورجن نيرانه في قلب المياه، تخترق النيران المياه فتذيب العظام واللحم الذي قد أذى الصدور من رائحة احتراقه المتعفنة.

ما زالت السفن تتقدم والجنود تصارع المدد الهائل من الوحوش الذي يتوافد من على الشاطئ، طوفان لا ينتهي، جراد لا حصر له، همجيون ضرباتهم دامية تفتك بالرجال، الذين حافظوا على ثباتهم أمام هذا الزخم الهائل من الجحافل وقدراتهم التي تفوق قدرتهم كبشر، حرب تدور رحاها بالأسفل على السفن وفي الأعلى مع ثورجن وأسترو ضد الوحوش الطائرة التي تهاجمهم..

يطوي ثورجن أجنحته ويثنيها بكل رشاقة يتلافى هجمات الوحوش الممسكة بالخناجر وتطلق السهام المسممة، يضرب بمخالبه أجسادهم الكالحة فيمزقها، ويجذ الأعناق، ويطلق لهبه الذي يذيب عظامهم ويعطي أسترو الأفضلية بالقتال، يضرب أسترو بكل عزم وقوة، فيشق سيفه بطن وحش وينغرس رمحه في صدر آخر، يتساقطون، تبتلعهم المياه، وهي تريد أن تلفظهم وتتقيئ تعفنهم ودنسهم.

استمرت الحرب على هذا المنوال حتى أضحت السفن على مقربة من الشاطئ وقبل أن تصل السفن إلى الشاطئ، مشط أسترو امتداد الشاطئ بلهب تنينه، وسط محاولات للفتك بثورجن من الوحوش بالأسفل، يطوحون بأجساد بعضهم بعضا ويقذفون أقرانهم بعدما

يطوحونهم في الفراغ تجاه ثورجن، الذي يوجه لهم اللكمات بكلتا جناحيه قبل أن ينالوا منه، محاولة أسترو كانت لتعطي الرجال وضعية الاصطفاف قبل الاشتباك وجذب انتباه الوحوش، الاصطفاف حدث بأمر من المقنع الأحمر الذي ينفذ خطة أسترو..

المتقلدين السيوف والدروع في المقدمة ورماة الأسهم في المؤخرة.

اصطف الجميع في نظام ملفت للعين، أمر المقنع الأحمر بإطلاق الأسهم نحو الجحافل المفترسة، حتى اشتبك الجميع مرة أخرى، أعدادهم لا تتأثر بعدد قتلاهم.

معركة طاحنة.. قتل العديد من رجال هايدس وأمطرت أجسادهم بوابل من السهام، بسواعد مقاتلي أسترو والمقاتلين الذين انضموا من جميع المدن الموالية والخاضعة لحكم دريك تاون..

ولكن أي سهام تطلق!..

وكم من أعداد يجب أن تقتل!.. لتقضي على هذه الوحشية والدموية الموجودة بأعين تلك الوحوش، وتنفض هذه الملحمة الدامية.

تركت الوحوش الواقفة لحماية بوابة الجبل أماكنها واتجهت صوب المعركة، يريدون إنهاء هذه الحرب التي طالت بالنسبة لهم سريعا، هذه إهانة لهم بالطبع أن يظل حفنة من البشر على قيد الحياة طيلة هذه المدة.

هنا أتى دور الحيتان السوداء...

على أقصى يسار الجبل وفي المياه التي تحده، كانت الغواصات تنتظر الفرصة السانحة للتسلل نحو البوابات، ألقى أسترو سهمًا مشتعلًا في أعماق المياه أمام مكان تواجد الغواصة، الرسالة قد بلغت

الحيتان السوداء الذين خرجوا من الغواصات يسبحون حتى وصلوا إلى أقصى يسار الشاطئ بعيدا عن المعركة الناشبة، يندسون وسط الصخور المحيطة بطرقات الجبل وبوابته..

تعثر أحدهم وانزلقت قدمه أثناء الصعود..

تمسك سريعًا به باقي الرجال، ولاحظ هذا أسترو الذي كان يراقب تحركاتهم عن كثب دون أن يلفت الأنظار، وعندما شعر بأنهم سينكشف أمره وقبل أن تصطدم الأحجار وتتساقط، ذهب ناحية الجهة اليمني وجعل ثورجن يضرب الأحجار بقدمه لتسقط الأحجار في الجهة اليمني قبل أن تسقط الناحية الأخرى وأخذ ثورجن بعض الأحجار وألقاها ناحية الجحافل، ليستمر تقدم الحيتان السوداء دون أن يلحظ أحد شيئا.

25

لغز جديد

توجه يامن بمساعدة ثورجن نحو بوابة الرجال، ليترجل من على ظهر ثورجن، ويبعث بثورجن إلى القتال من دونه، الأمر الذي أثار سخط ثورجن، ليثبت أجنحته على الأرض ويصرخ تجاه الجحافل وينطلق محلقًا بأجنحته، ينفث نيرانه على أجسادهم، يفتك بهم، وما زالوا يحاولون أن يسقطوه أرضا.

لحق أسترو بالرجال الذين انتظروه أمام البوابات، ينتقد أداءهم الذي كاد أن يودي بحياتهم ويذهب بخططهم في مهب الريح، فلو عاد الوحوش إلى البوابات لن يتمكن أحد من الولوج للداخل.

.الآن يجب علينا الدخول وتخليص زاك من قبضة هايدس.

رد المقنع الأسود متحمساً.

. لنفعل هذا، أريد أن أقتل هايدس وألطخ جدران العالم السفلي بدمائه.

رد أسترو متريثًا

. سندخل أنا وأنت وسنأخذ أربعة رجال، الباقون يظلون في الانتظار حتى نخرج، يمنعون اقتراب أي أحد من أعتاب البوابة ويساعدونا في الإفلات إذا خارت قوانا أو يكملون سعينا إذا قاربت الحرب على الانتهاء ولم ينج أحد منا بالداخل.

أختار أسترو أربعة رجال بالإضافة إلى المقنع الأسود ليدلفوا جميعا إلى سواد العالم السفلي..

وقف أسترو والرجال يتأملون النقوش المكتوبة على أبواب العالم السفلي المخيف..

هناك قاعدتان كّتبوا على جانبي البوابة قرأهم أسترو بعناية..

الأولي كانت..

. هذا العالم لا يستطيع أحد الوصول إليه إلا بأذن من هايدس.

الثانية كانت..

. لا يحق للأحياء العبور عنوةً، الموتى فقط من يعبرون!.

وأعلى البوابة نصيحة مخيفة قد التصقت بها بعض الدماء وتزينت بقرون الكباش وأجساد طيور هالكة..

يتمتم أسترو بكلماتها يحاول استيعابها!

. ستعذبك الأفكار وتتلاعب بك الأوهام ويقتلك الخوف حتى تذيق نفسك الألم وتصبح فردًا منا، أنت ميت بالكاد منذ اللحظة التي فكرت فيها أن تدخل إلى هنا.

رد يامن دون اكتراث..

. لا يهم كل هذا، لا يعني بالطبع شيء، الشيء الوحيد الواضح أن الرؤية ستكون غير جيدة على الإطلاق، الضباب الكثيف المنبعث من الداخل ينم عن ذلك.

أشار أسترو للمقنع الأسود ليحفزه على الدخول ونسيان الكلمات التي تم قراءتها للتو..

. يجب أن نسرع، أبطالنا لن يستطيعوا الصمود أكثر من ذلك، هؤلاء الملاعين قدرتهم تفوق قوتنا حتى وإن كنا أكثر عددًا وعتادا.

استعد الرجال للدخول عبر البوابة الضخمة الموحشة التي تنبعث من جوفها رائحة الموت وصرخات المعذبون، يخالطهم الهلع جراء ما سيرونه بالداخل.

العالم السفلي مليء بالأسرار المخيفة التي لا يستطيع أحد معرفتها أو يتحلى بالشجاعة للصمود أمامها.

بدأ الرجال في التحرك نحو البوابة للعبور في حذر، يتبعون أسترو وشعلته الملتهبة التي تقودهم، هذه الشعلة التي ستنير لهم عتمة العالم السفلي، ولكن اصطدم الجميع بالبوابة وكأنه عازل زجاجي شفاف يمنع الولوج للداخل، يستطيعون رؤية الظلام دون العبور.

ارتجف أحد الرجال الذين سقطوا على مؤخراتهم يشير نحو البوابة وقد أصابه الهلع.

. لكنه عبر.. لقد اختفى.

فغر الرجال أفواههم..

متسائلا المقنع الأسود في حيرة قد دبت في روحه محدثًا نفسه

. أيعقل هذا..؟!

26

أوهام تارتاروس

ممر مظلم.. الأجواء خانقة.. الهواء رطب.. حوائطه تخالطها الشقوق الذي تسكنها الأفاعي والخفافيش، اصطدمت الخفافيش بوجه أسترو الذي رفع يديه الاثنين وغطى وجهه بالدرع، حتى عبرت بأذاها ليذهب عنه الخوف الذي باغته، انطفأت شعلة أسترو بمجرد عبورها البوابة، لقد تخلت عنه قواه بمجرد عبوره العالم السفلي.

يلتقط أنفاسه المتهدجة بجهود مضنية، يشعر بوهن يصيب قلبه بالفتور، لم يعد قادرا على الرؤية الجلية، أصبحت رؤيته مشوشة وكأن دوارا لعينا قد أصابه وتلاعب به، كالسم الذي يدب في الجسد فيصرعه..

رائحة مزرية نتنة تتسرب إلى رئتيه.. يخفت زفيره ويصعب شهيقه ويضيق صدره، يتصبب العرق من جبينه، يتساقط بغزارة ليلة شتوية، درجه الحرارة المرتفعة بالداخل مقارنة بالخارج قد تفعل هذا وأكثر.

الممر يفضي جوانبه إلى غرف صغيرة وينتهي ببوابة أخرى تنبعث منها إضاءة شديدة السطوع، إضاءة ملتهبة، لونها لون حمم بركان ثائر متفجر، على جنبات الغرف توجد أعمدة مهدمة، مبعثرة تعوق السير في يسر داخل الغرف وخلال الممر.

يقترب في حذر نحو البوابة الأخرى في نهاية الممر، يتحسس خطاه في وجل، يمر بجانب الغرف المظلمة المحيطة به، يسترق النظر إليها من حين لآخر، جماجم وهياكل عظمية تعج بها هذه المقابر المميتة.

يحث نفسه على الإسراع في التقدم نحو البوابة المقابلة وأن يتخلي عن حذره الذي بالغ فيه..

. بقائي هنا سيضعفني، يجب أن أصل للجهة الأخرى الآن.

يسوق أقدامه في عجالة يثب فوق حطام الأعمدة وبقايا العظام المتناثرة، يكتم أنفاسه من حين لآخر، ليقي نفسه عناء تسرب رائحة الموت ورهبة الظلام داخل قلبه.

تسمرت قدماه وتنبهت أذناه لهذا الصوت الذي سمعه، وأنساه تقدمه، فتاة تضحك، وترن ضحكتها في جوانب هذا الممر المخيف..

الظلام يتلاشى في عقله، والسكينة تتأرجح في صدره، هذه الضحكة الرنانة التي داعبت أذنيه ليس بغريبة عنه.

أقشعر بدنه، وخفق قلبه بضراوة كاسحة..

أحدهم يلامس بكفه الرقيق كتفه!

عاقدة ضفيرتها الذهبية ويلمع جلدها الناصع، يضيء عتمة القبو الخرب..

يندهش ويلتفت إليها في قلق..

. هذه أنتِ.. يجدر بكِ ألا تكوني هنا.

لم تجب بشيء وكأنه لم يتفوه بكلمة، ركضت سريعًا أمامه في خفة أرنب، تتوارى داخل إحدى الغرف المظلمة، يتابعها بأنظاره المثبتة نحوها، حتى اختفت.

تبع خطواتها ودخل إثرها، وجدها جالسة، وقد عدلت عن النظر نحوه، تعطي ظهرها له، جالسة القرفصاء على عظام الموتى وجماجمهم التي تغطي أرضية الغرفة وتصل حد سقفها الذي يتدلى منه شباك العناكب السامة، التي تتوارى في الظلام.

همس أسترو في توتر.. ولهجة أقرب إلى التوسل

. لم تركضين؟! .. أخرجي من هذه الخرائب.. هذا ليس بالمكان المناسب حيث يجب عليك أن تتواجدي.

صوت نحيب قد أشعل أرجاء الغرفة، يحرك العظام والجماجم، ويزيد الخوف خوفاً، والوحشة توحشا، يقترب منها، يحاول إدراك الموقف قبل فقدان السيطرة وهدم المعبد على رأسه، وضع درعه وسيفه جانبا، ليصبح على بعد قدم منها، صوت بكائها يزداد ريبة، ضفيرتها قد فُكت وشعرها قد حال إلى السواد، مجعد وذميم، الأمر الذي لم يطمئن له أسترو، ولكنه يجب أن ينهي هذا العبث وفي أقرب فرصة ممكنة، اقترب القدم الذي فصلها عنه، ليجدها ممسكة بطفل صغير، مشوه غير مكتمل البنيان والتكوين..

فزع أسترو وكاد أن يصيح وينتحب من هول المنظر وبشاعته، يحاول إزالة يده التي ربت بها على كتفها قبل أن يرى هذا المشهد المروع، ولكنها كانت قد أحكمت القبضة عليها بيدها المتسخة المشوهة الأظافر، أظافر متعرجة تدمي، تصدر أصوات متضخمة، أشبه بصوت الجحافل المحتشدين بالخارج ونكل بالكثيرين منهم قبل الدخول للعالم السفلي، يتحشرج صوتها وينتفض بدنها وكأنها قد صُرعت للتو..

حتى صمتت وأرخت قبضتها..

زال وجله وعاد له ثانية قبل أن يتسنى له استعادة رباطة جأشه، يقترب منها بعد نفوره وعلي وجهه قسمات الحذر.. استدار حولها حتى

صار أمامها بكامل هيئته، ينظر إلى وجهها المطرق للأسفل، يحاول جذب انتباهها والنظر إليه..

حتى فلح في هذا.. ويا ليته لم يفعل.

صعق أسترو وشلت حركته وخفق قلبه وقد كاد أن يشق صدره ويهرب منه..

. هذا أنتِ!

اعتدلت وما زالت ممسكة بالشيطان الصغير بين ذراعيها، تتفرس في ملامحه وقد بدا عليها أنها تخاف عليه من الاستيقاظ، تشير إلى أسترو بألا يصدر صوتا.

. ألم تعد تتذكرني.. هذا الصبي لك.

قالتها في لهجة حزينة أرعبت أسترو.

. لقد أخطأت بشأنك في السابق.. لقد كان هذا منذ زمن بعيد.. كان بمقدورنا أن نصلح الأمر ونتزوج.

ردت في حزن لم يتلاش

. ندمك لا يجدي نفعا...

تشنجت ولم تستطع استكمال حديثها، تتلوى كالمذبوح، صوتها يجأش، تتحرك ببطء نحو أسترو، الذي استدار بجسده ليصبح باب الغرفة خلفه.. يتراجع في خطواته كلما اقتربت.. تقترب.. تتدلى رأسها نحو اليسار وكأن أحد قد دق عنقها، أو ارتطمت ارتطاما شديدا عليه، يظهر جسدها من فستانها المراهق الأزرق البالي..

تستكمل حديثها بصوتها الموحش..

. هذه اللحظة التي أحببتك فيها.. أعطيتك نفسي دون تردد، كانت سبب شقائي وهلاكي، جرعة زائدة من عقار الدايجوكسن الذي لوالدتي كان كفيلا بأن يرديني أرضا، مسمومة ومكسور قلبها وفقراتها العنقية، هذه الحبوب أرسلتني إلى هنا لأخلص عائلتي من العار الذي كان سيلازمهم ما حييت.

زعق أسترو بصوته وكأن شعور الذنب يغسله حتى أخمص قدميه .كدت أجن...

انهمر أسترو في البكاء واضعًا يديه على وجهه، ينتحب غير قادر على التقاط أنفاسه من حدة البكاء ليستطرد حديثه.

. كدت أموت عند بلوغي ما حدث لك، لقد أخذتِ قرارا خاطئا تماماً.

تحول صوتها إلى فحيح الثعابين التي تسكن شقوق الغرف المظلمة..

.وها أنت قد عدت لي يا حبيبي..

دنت نحوه حتى لامس وجهها وجهه.. تقف على أطراف أصابعها الحافية.. تبث سمها في أذنيه..

. قبلني وأبقى معي هنا، نعيش سويًا إلى الأبد، تربي طفلك، وتمارس حبك وشغفك الذي قد تاق جسدي له.

قبلته رغمًا عنه، قبلات ناعمة وما لبثت أن تحولت إلى وحشية كاسحة، تلتهمه التهاما، يشعر وأن لسانها يلتف حول رقبته، يختنق، ويقاوم، كلما ازدادت المقاومة صعب الإفلات منها، يزداد الاختناق شراسة وقوة، يتراجع للخلف، حتى تعثرت أقدامه في بعض العظام، سقط على ظهره، يحاول أن يقاوم ارتخاء أجفانه، يرى العناكب قد

حامت بسقف الغرفة، يظهرون في الضوء الخافت الذي ينبعث داخل الغرف والممر من البوابة التي يجب عليه بلوغها، يمسك رقبته.. يطوقها الأوهام. يحاول خنق نفسه!

صاح بعزم واهن..

. إنها الأوهام.. تريد أن تنال مني.

ارتخت قبضته.. واستعاد بعض من رشده..

أخطاؤه الماضية كالأشباح تطارده وتريد اصطياده.

أمسك درعه وسيفه، وركض سريعاً، يفلت من العناكب التي كانت تتحين اللحظة التي يفقد فيها الوعي، يريد أن يترك الغرفة ليس خوفًا من هذه المخلوقات، ولكن خوف من عودتها مرة أخرى، أو قبل مطاردة شبح آخر من أشباح ماضيه له.

يترنح في الظلام.. يثب كالضفدع التي تطارده أفعى سامة، حتى عبر الظلام وتمكن من العبور خارج الممر والوصول إلى البوابة.

27

معركة حاسمة

وقف أسترو أسفل جدران البوابة.. إنها حافة العالم السفلي.. حافة الهاوية التي يخشاها الجميع وترهب الآذان عند سماع قصصها وتخيل هيئتها.

تلمع سترته ويشتعل سيفه ودرعه بضوء الوهج الحارق الخارج من باطن الهاوية، نيران مشتعلة لا تنطفئ.. تملأ الجحيم أسفله.. حمم بركانية متفجرة تخرج من أعماق الجحيم.. ثم تختفي هذه الحمم ويسكن دوي الانفجار.. تظهر أرض الجحيم السوداء القاحلة.. ثم تتفجر الحمم في طرفة عين بعد سكونها مرة أخرى .. نار سرمدية متقدة بالكبريت.

أصوات صرخات المعذبين في الأسفل.. تتعالى كلما بدأت الحمم في الانفجار.. والنيران بالاشتعال في أجسادهم.. تنخر النيران أجسادهم نخرا.. وتذيب لحومهم وتكشف عن عظامهم، تتجدد أجسادهم مرة أخرى.. يلاقون نفس المصير من العذاب.

معذبون من خطاياهم.. التي حرض هايدس على أكثرها.. يخدمونه على الأرض بأفعالهم، ويشرف على عذابهم الأبدي في الجحيم.. يتبرأ منهم.. ويزدري أتباعهم له.. فهم النفوس البشعة التي عذبت الكثيرين في حياتها.. ليس بداخلهم الصلاح وقد يدعون الفضيلة وهم لا يقتنوها، هكذا استحقوا العذاب، فصانع السم ذائقه.

علي حافة أخرى مقابلة لأسترو، قد وجد هايدس جالسًا هناك.

يصل بينهما عدد من الأروقة الصخرية.. كأنها جسور مقامة بين الحافتين.. مدعمه من أسفل بأعمدة صخرية.. تخترق الأعمدة الأروقة.. تحملها وتجعلها متينة البنيان.. حتى تشق الأعمدة طريقها لأعلى، يحاول المعذبون على استحياء بلوغ الأعمدة وتسلقها.. لكن قواهم الخائرة لا تسعفهم.. وإن حدث ذلك سيتكفل أحد وحوش هايدس بتعذيبه وطرحه مرة أخرى لجحيمه وعذابه الأبدي.

الأروقة تنحدر قليلا.. لانخفاض الجهة المقابلة نسبيا.. حيث عرش هايدس، تتخلل الأروقة سلاسل حديدية ضخمة.. تدلت هذه السلاسل من الأعلى.

عبر أسترو أحد الأروقة التي تودي إلى هايدس.

دقق نظره فأدركه..

يجلس على عرشه الضخم المصنوع من عظام الموتى ومزخرف بجماجمهم.. مطلي بدمائهم التي نقشت بها أسماؤهم على جدران العالم السفلي، يسند ظهره على عرشه ويميل برأسه إلى الخلف.. تلتصق بجماجم عرشه التي تكسوه.. يباعد رجليه المنغرسة في الأرض التي تطأها، يسيطر سيطرة كاملة على مقاليد الأمور ونهجها، يمسك بعصاه ذات القرنين المرعبة.. يتلوى عليها ثعبانه الضخم.. يصدر فحيحه المرعب، يرتدي هايدس بزة حديدية سوداء ويعتلي أكتافه رداء أسود الفراء.. يتشح به جسده برمته، يظهر على وجنتيه الهلاك والموت.. عيناه مظلمتان ولحيته اتشح العالم السفلي بسوادها.. خصال شعره تتدلى وتتموج على شكل ثعابين صغيرة منزوعة الرؤوس.

أضاق عينيه فتنبه أسترو..

أنه يراه الآن.. وقد كان له ما أراد.. وهو انتهاء انتظاره الذي طال.. انتظار أسترو البطل الذي ستتغنى الأساطير بمقتله داخل دهاليز العالم السفلي.. بطل قاد شعب بأكمله لهلاكهم بدلًا من العيش في خنوع وذل.

أطلق هايدس كلابه المتوحشة صوب أسترو، يرحب بضيفه القادم بإرادته نحو حتفه..

ركضت الوحوش نحو أسترو في شراسة وسرعة.. يقصدون الرواق الذي يعتليه.

هايدس اكتفى بالمشاهدة والسخرية فوق عرشه المقيت..

. اختبار ضئيل لهذا البائس، يثبت فيه شرعية حقه في مواجهتي.. في حالة عبوره صغاري اللطفاء.

تقدمت الوحوش.. وأسترو يتأهب ملاقاتهم.. يعتصر مقبض سيفه ويحتمي بدرعه الملامس لسيفه.. ينتظر الهجوم.

صوت نباحهم قبيح بإمكانه أن يجعل أزهار الربيع المتفتحة للتو تذبل.

انقض أسرعهم على أسترو.. وثب على قائمتيه الخلفيتين صوب أسترو الذي تصدى له ووجه لكمة دامية بدرعه.. أسقطته على طرف الرواق.. يخربش بأظافره يحاول التمسك بالرواق فيعاجله أسترو بركلة أصابت فمه الدنيء الذي يسيل منه لعابه.. الركلة أطاحت به إلى جوف الهاوية.. حيث النيران هي من تكفلت بإذابة جسده، عاجله وحش آخر في هجوم سريع.. قبل أن يشق أسترو حنجرته لينضم بصحبة أخيه في قلب الهاوية.. يوجه الضربات لهذه الوحوش المتكالبة عليه.. يصرعها قبل أن تمسسه.. عضة واحدة كفيلة أن تميته.

مقتول في قلب العالم السفلي عن طريق كلب مشوه، تواردت هذه الفكرة على عقل أسترو.. تشعل حماسته التي انطفأت بمقتل أخرهم.. الذي غُرز السيف في صدره حتى لامس طرفه أرض الرواق.

صاح أسترو وقد تجددت حماسته

. إن كان لديك المزيد فأتني بها قبل أن يُسجي جسدك المقتول على عرشك الملطخ بالدماء وتقتل مثل حشراتك.

صفق هايدس تصفيقا فاترا متقطعا يقلل من شأن كلمات أسترو التي أثارت غضبه الكامن بداخله.

حتى أنهى تصفيقه السمج الذي رد بها على الشجاعة التي أظهرها أسترو.. يحرك رأسه الملاصقة لعرشه.. حركة طفيفة إلى الأمام، حدج بنظره إلى أسترو دون أن يتكلم.. يسبر بصمته أغوار أسترو الذي سيضعف لا محالة.

حتى قرر هايدس أن ينهي هذا الصمت الذي دام قليلاً..

. أداؤك ليس مقنعا إلى حد كبير ولا يؤهلك للمثول أمامي، ولكني توقعت مجيئك، فلدي شيء يخصك.

التفت أسترو نحو الرجل الذي طوقته الأصداف الحديدية بجانب عرش هايدس، إنه زاك، لم يره من قبل ولكنه تذكر وصف أريانا له عندما كانت تضيق بها الحياة وتتهاوى في أحضانه باكية شاكية له عن شوقها لأبيها وملامحه التي كانت تحب النظر إليها، كما كانت تفعل معه وتنظر له، الملامح مشوهة، مطموسة أسفل روث وحوش هايدس وآثار تعذيبه.

قطع شرود أسترو، ما شعر به، ويحاول مقاومته، الضعف يصيبه، والإعياء الشديد قد يظهر عليه، كلما تواجد هنا، ستستحيل مهمته.

ها هي الفرصة مواتية لهايدس، لينهي الأمر، يزيد من ضعفه بمكره وكلماته التي يجيدها، طالما أوقع بعض الشجعان والأقوياء والصالحين، وهذا مدعاة للفخر.. يتغني به

. أنت هالك أيها الأسترو.. ميت لا محالة.

تدارك أسترو كلمات هايدس سريعا، يحاول نسيان ما يلم به.. ومناورة هايدس

. لكوني ميتا أنا لا أخشاك.

وقف هايدس على قدميه واعتلاه الغضب حيث ضرب الأرض بعصاه حتى كادت أن تتشقق

. لا يوجد مخلوق قد سوي على وجه الأرض لا يخشاني أو يخشى مواجهتي، جميعكم تضطربون وتستعيذون بمجرد ترديد اسمي على مسامعكم.

. لقد واجهت الكثير من قبل، لم أعد أكترث بعد الآن، لا شيء يخيف في مواجهتك أو يضعف، الضعف الإذعان لك والقوة مجابهتك.

. وهل هذا الكثير ما أتى بك إلى هنا، أنت تقف بصفهم وتقودهم لأنه أمر واقع لا مجال للهرب منه، تريد الفرار كما أردت عندما جئت إلى هنا.

اعتلت الريبة وجه أسترو، هايدس يسبح في أفكاره ويقتحم ذاكرته مجدداً، كما فعل بالممر المظلم..

استطرد هايدس حديثه وهو ما زال يحدق إلى أسترو، ويشتت أفكاره، يريد أن يثني عزمه ويسيطر عليه، يستغل سيطرته الفائقة في تلك الأمور.

. تريد العودة إلى الديار يا يامن قبل أن تضل وتتخبط بين الأزمنة والأماكن، وتصبح حبيسهم، تائهًا بين العوالم، لا هوية لك ولا حياة.

أقشعر بدن أسترو عندما ذكر اسمه الذي كان يطلق عليه قبل القدوم إلى الجزيرة وغرق سفينته.. شعور سخيف أن يتلصص أحد ويعرف جل الأمور التي تهابها ولا تريد خوض غمار الحديث عنه، ويؤرقك بالذنب كونك إنسانا قد أخطأ يوما وليس لك الحق في تصحيح مسارك، هكذا هايدس، بغيض بلا أمل، يطرق بفأسه على الشجرة حتى تأتي آخر ضربة تُسقط الشجرة من سبابة أصابعه وليس فأسه، يجردك من ذكرياتك السعيدة ويجعلك عاريا أمام حزنك.

لم يكتفي هايدس، بل اشتد عزمه، يصرع أفكار أسترو، الذي ضعفت رؤيته، وغلت دماء رأسه، يطوح رأسه الذي يتلاعب بها هايدس، عله يفلت من قبضته بهذه الحركات المتتالية البائسة يمينا ويسارا..

لانت كلمات هايدس عندما شعر بالهيمنة على أسترو

. أترك درعك وسيفك وسأجعلك تحكم معي عالمي وتهيمن على البشر، سأجعل منك أول إنسان خالد يشاركني مملكتي.

(عندما تتحرر روحك بصورة كاملة، وتتمكن من قواها وتعلمها جيدا، تستطيع فعل أي شيء، روحك تتحد مع عقلك وتنفذ ما تمليه أنت عليهم، أنت الذي تقودهم، تستطيع أن توقف قطرة ماء وتتحسسها بأصابعك، أي شيء تريده تتمكن من فعله بواسطة عقل صافي قوي وروح سامية رهيبة)

تذكر كلمات الكاهن الأكبر التي علمها له، يلملم شتاته ويطرد هايدس من ذكرياته التي يعكر صفوها.

تجرأ أسترو ونظر إلى عيني هايدس التي وجلته، يتحداه ويستنكر ما يحيكه من ألاعيب.

. لا يهمني ما تحكم، بل هم من بالخارج يقاتلون من أجل حياتهم المسلوبة.. التي تحاربها منذ نشأتهم، أننا لا نحارب من أجل أنفسنا، أننا نحارب من أجل جميع البشر، الذين لطخت حياتهم بمكرك، وكل من هو استعبدته سيتحرر، وسيعم الخير على جميع البشر دون كره أو حسد.

ضحك هايدس باستهزاء..

. أتدري لقد ذكرتني بالرجل الذي أشفق على جرذان مشردة وآواهم في بيته، يضعهم في صندوق زجاجي ويغلق عليهم غطاء خشبيا به ثقوب، محكم الانغلاق، خوفًا من هرته التي كرهت وجود الجرذان المستجدين، لأن رب المنزل كان يبالغ في عنايتهم، لا يزيل عنهم الغطاء سوى للضرورة التي تحتم عليه ذلك، يزيله كي ينظف مخلفاتهم ويضع لهم الطعام والشراب وينظف أجسادهم بقطعة من القماش المبتل، ثم يعاود إغلاق الغطاء الخشبي المثقب، وعند مغادرته تراقبهم هرته التي تحاول مضايقتهم وإخافتهم، بالنظر لهم عن قرب من خلال الصندوق الزجاجي، لا تستطيع أن تفعل شيء سوى أخافتهم من الخارج، حتى مرض رب المنزل، ولم يعد يقوى على الفراش، فجفت حلوقهم ولعنوا رب البيت الذي حبسهم بداخل القفص الزجاجي، يلومون تقاليده الصارمة التي فرضها عليهم، وثاروا عليه ثورة عارمة، لا يريدون حبه وعطفه الذي حرمهم من الخارج، وقصر حياتهم عليه، يريدون الطعام والشراب، تصارعوا فيما بينهم حتى انشقوا، البعض قد أعتبر رب البيت ليس موجودا من الأساس وهم أتوا هنا بمحض الصدفة العجيبة، هذا البيت الزجاجي والألعاب الهلوانية التي من

حولهم يلهون بها، كل هذا مصادفة، وآخرون أمنوا بأن رب البيت ليس بظالم حتى ينساهم وأمنوا بأنه ما زال موجودا، وسيعود لهم عما قريب، يحمل معه الخيرات، فقط الصبر هي المعضلة.. اشتد الصراع فيما بين الفئران، كل هذا عندما علم الهر أن هناك شرذمة بسيطة من الفئران بها عطب خلقي، عمل عليه وزعزع إيمانهم بعودة رب البيت، حتى أفهمهم أنه ليس موجودا بإيماءات خلف الحائل الزجاجي، فهو لم يعد موجودا بالنسبة له منذ أن أهمله سيده، ازداد جوع الفئران وخارت قواهم، أضاعوا طاقتهم في الانقلاب والثورة على رب البيت، بدلًا من الانتظار وتذكر نعمه التي فاض عليهم بها من ذي قبل، توحشت الفئران حتى تقاتلت وأكلت بعضها البعض، بقي واحد فقط.. أقواهم، السيد تحسنت صحته بصورة ملحوظة، حتى استطاع أن ينزل للأسفل ويرى ما لم يتمن رؤيته، جرذانه الصغار تبقت منهم العظام فقط، وتهشم الزجاج ولم يجد بالصندوق أحدا، حزن السيد على الصغار، وانتحب عليهم وقص على الجيران ما قد حدث، فلام الجيران على القط واتهموه بقتلهم.

صاح هايدس..

. أنتم مثل هؤلاء الجرذان، تتقاتلون فيما بينكم، دون ذنب ينال من قط أو أيًا كان، أنتم من تفعلون هذا بأنفسكم.

رد أسترو على قصة هايدس الملفقة..

. هل أخبروك أن القط قتل طفلة السيد الصغيرة بسبب إنه كان يريد السيد وما يمتلكه لنفسه فقط، ولكن قلب سيده الرحيم اكتفى بمعاقبته ونفيه بعيدا عن أحضانه، يعاود مكره أثناء غياب سيده، وسيمارس مكره وضلاله إلى الأبد.

كان يقصد أسترو أن هايدس بمثابة القط والجرذان بمثابة البشر الذي يضللهم هايدس مستغلا ضعفهم ويبرئ نفسه من إثمهم، أثارت هذه الكلمات التي تترد على مسامع هايدس حفيظة غضبه التي اشتعلت وصاح في سخط.

. طفح الكيل.

قفز من وقفته قفزة واحدة، نقلته من أمام عرشه.. تجاه أسترو، واقفين وجهًا لوجه، يملأ السواد والحنق قسماته التي أضحت أكثر رعبًا

. أنا حاصد الأرواح الهالكة التي تشبعني برجسها وتزيد من قوتي، وأخيرًا تأتي إلى هنا لتكون بصحبتي حيث اللذة الكاذبة والنهاية البائسة.

تلقى أسترو لكمة على حين غرة، لم يكن يتوقع أن يتلقاها بهذه السرعة، أبعدته هذه اللكمة بضع خطوات للخلف ساقطًا على ظهره، صدره يؤلمه، ولكنه ما زال يتمسك بسيفه ودرعه، لم يسقطا حتى الآن.

يناور هايدس ويلف حبال المخاوف حول عنق أسترو..

. أنا عالم بكل ما واجهت سابقا.. شعورك بالضياع والشك والخوف والخيانة والحزن والموت، كلهم أنا يا عزيزي، في كل شعور ينتابكم من هذه المشاعر.. اقتل جزءًا منكم وأخذ هذا الجزء هنا بجانبي، أراه يكبر يوم بعد يوم حتى تكتمل الأجزاء وتصبح كالثمرة المعطوبة التي نضجت وحان وقت حصادها ورميها بعيدا، تدوسها الأقدام.

رفع أسترو رأسه وتحامل على يده اليمني حتى عاود النهوض مرة أخرى، يشوبه القلق ويحدث نفسه.

. مواجهته مهلكة دون قواي التي لا استطيع استعمالها في العالم السفلي، لابد أن هناك طريقة لهزيمته وإنقاذ زاك.

سيف أسترو ضد عصا هايدس التي يعتليها ثعبانه الضخم، يتصارعان في نهم، هايدس له الأفضلية والقوة وأسترو يحاول التصدي لضرباته المتتالية..

باغته هايدس، الذي انتفض ثعبانه وأشرأب برأسه لينال من أسترو، يضخ سمه في وجه المقاتل الصامد أمام سيد الثعابين، يتفادى أسترو أذاه ويلوح بسيفه في ضربة قطمت رأس هذا اللعين، الذي نمت له بدل الرأس.. اثنان!

فغر أسترو فاه واضطربت قواه.. نهايته محتومة بلا شك.. فلا مجال لهزيمة هايدس ووحشه الضاري الزاحف.

يراوغه ويبتعد عن ضرباته، حتى استطاع هايدس أن ينال من قدمه اليسرى وسدد ضربة قوية بعصاه ذات القرنين..

سقط أسترو على ركبته اليسرى، يحاول إدراك الأمر سريعا.. يحاول النهوض مستندًا على قدمه اليمنى التي ما زالت قوية، لحق هايدس ضربته التي أضعفت قدم أسترو اليسرى بلكمة أخرى بمؤخرة عصاه المدببة، أصابت وجه أسترو وأطاحت بجسده بعيدا..

ضربة مسددة بإحكام شديد، أردت أسترو أرضا، يئن من اصطدامه الشديد بأرض الرواق الصخرية، يحس بوخز في عظامه وقدمه اليسرى ترتعش، خوذته النحاسية ساقطة بجانبه.

استطاع هايدس أن يشل حركة أسترو..

اتجه نحو جسده المسجي على الرواق، وأمسك بتلابيبه ورفعه عاليا، ينظر إلى الوجه الذي يقطر دماً، جرح قاطع في أحد حاجبيه

تسيل منه الدماء حتى ملأته بالكامل، أنفه وفمه ينزفان، أسودت بعض البقاع في وجه أسترو التي اصطبغت دماؤها بتراب الرواق.

نظر هايدس نحو أسترو بشزر وكز على أسنانه وهو ممسك بتلابيبه، يعنفه

. حتى بمساعدتهم لن تتغلب علي أيها الجرذ الضئيل، سأسحقك.

ترتخي أجفانه الملطخة بالدماء، ينظر إلى هايدس الذي أصبح كالبندول، تطن رأسه وتؤلمه.

يتخيل أريانا وهي تنتحب عندما يصل إليها خبر مقتله على أيدي هايدس، قبل أن تطولها يده ويقتلها في الأخير، يتذكر عناقها له هذه الليلة وخوفها من هذه اللحظة.

في هذه الليلة قبضت على يده بمنديل مطوي بداخله شيء، طلبت منه أن يحتفظ به..

. هذه الرمال حتما ستحتاجها..

قبل أن تطوقه بعناقها الذي يشعر به الآن ويهدئ من روعه.

تنبه أسترو لصوت السلاسل التي يسمعها، زاك يتحرك، يريد أن يؤازره، لكنه لا يستطيع الحراك، قبضة هايدس شديدة الأحكام على كليهما، وصوت فحيح ثعبانه يسيطر على قلوبهم.

ارتخت قبضة هايدس، ينظر إلى زاك المكبل بالأصداف، يرمقه بازدراء، يتوعده بالموت الذي سيلقاه الجميع.

شعر أسترو بهمهمات كاسبيان وأريانا في أذنيه ومعهم والدته..

. جميعنا فخورون بك، أنت بطل حقيقي.

دبت الحياة في أوصاله، يستغل ارتخاء قبضة هايدس، أنحنى ليصل بيده إلى المنديل المربوط على فخذه..

التفت هايدس سريعا وأعاد إحكام قبضته مرة أخرى، قبل أن يفض محتويات المنديل في وجهه.

ترنح هايدس يمينا ويسارا يتأوه من الألم الذي طاله، يذوق قليلًا مما أذاقه لقاطني العالم السفلي، لمح أسترو قطعة بوسايدون المعدنية مخبأة في جيب رداء هايدس، قربة من قلبه، مد يده سريعاً، اختطف القطعة المعدنية ثم ألقاها نحو زاك الذي يتابع الاقتتال المشتعل، التقطها زاك بصعوبة طقطقت أوصاله قبل أن يسقط أرضا مرة أخرى، ما زال هايدس يترنح، الرمال سيزول سحرها عما قريب، ليس هناك سلاح بإمكانه الفتك بهذا الخالد، تتوالى الأفكار على ذهن أسترو الذي قفز وأمسك بإحدى السلاسل المتدلية من سقف تارتاروس، وطوح جسده، حتى وجه ضربة قوية في منتصف صدر هايدس، أسقطته إلى جوف الهاوية بالأسفل بصحبة كلابه التي تغلب عليها أسترو.

عرج أسترو في وجل نحو زاك حتى أدركه، زاك محكم قبضته على القطعة المعدنية التي قذفها له أسترو..

طرق بسيفه على الأصداف الحديدية التي تهشمت، تحرر زاك، أخذ أسترو القطعة المعدنية، يطمئن زاك.

. لا تخف سأتكفل أمر حمايتها.

يجذبه أسترو بعيدا عن عرش هايدس وعالمه السفلي الذي كان محبسه

. يجب علينا الخروج سريعا من هنا قبل عودته.

يستندان على بعضهما البعض، والحمم تتفجر أسفلهم، يعبران الرواق ثم الممر، يتوسلان إلى أقدامهم أن تستمر في حملهم للخارج وألا تخونهم.

قفز الاثنان من البوابة، سقطوا أرضًا متمسكين ببعضهم، ينشجان من الألم، شهقة من الهواء خارج العالم السفلي، أراحت عقولهم من العذاب الذي رأوه بالداخل.

ركض نحو أسترو ودارت الرجال الذين اختبئوا خلف الصخور، يلمسون الأجساد في رفق.. تسعد وجوههم برؤية زاك الذي خلصه أسترو من أنياب الأسد..

عبر المقنع الأسود عن سعادته بعودة أسترو..

. خفنا أن نفقدك وأنت بالداخل.

رد أسترو في وهن..

. لا بأس كل شيء على ما يرام الآن، فقط اصطحبوا زاك، ارجعوا إلى دريك تاون، لقد انتهت مهمتكم.

رفض المقنع الأسود واحتج على قرار أسترو..

. تريد مني أن أترك شعبي في خضم المعركة.

الشعب الضعيف على الجزيرة يحتاجون إلى قائد يطمئنهم، بيد أن زاك يجب ألا يكون بالقرب من هايدس.

تفهم المقنع الأسود ما يصبو إليه أسترو، وتوارى مع رجاله، يركبون غواصاتهم، زاك حُشر بجسده الضعيف مع المقنع الأسود، يودعون المعركة باكرا، حتى يتثني لهم معرفة أخبار جديدة.

28

المعركة لم تنته بعد

في قلب تارتاروس وفي أعماق الهاوية ونيران الجحيم، يغوص جسد هايدس، ملقى على ظهره، جسده ينصهر، المعذبون يجذبونه نحو الدرك السفلي ونيرانه التي تزيد ذوبان جسده بحرارتها التي ترتفع كلما غاص، المعذبون يحتفون به ويحيطون به من كل اتجاه.

قُتل، يا للسعادة العارمة التي ستجتاح دريك تاون وكل بقعة أرض، سينتهي الشر، وستنفك قبضته المحكمة على القلوب المظلمة، لن يؤذَي أحدًا بعد اليوم، ستعود الجنة مرة أخرى، لن يكون هناك كيد أو مكر، لا حرب أو قتل، ستكون حياة حقيقية، حياة دون هايدس.

لحم وجهه يذوب.. شعره المتلوي يتلاشى..

عيناه!

عيناه انفتحتا فجأة.. أرهبت المعذبون من حوله، ما زال هايدس على قيد الحياة!

يمسك بعصاه ذات القرنين التي ضمها إلى صدره بكلتا يديه ثم فردهما بقوة بعد انقباض يديه، دوي انفجار هائل قد حدث من داخل جوف الهاوية.. ليست الحمم هذه المرة، هايدس يعود، زلزال بؤرته هايدس، تتسع حلقته التي تأخذ كل من هو في طريقها، يتناثر المعذبون ويتكومون على بعضهم.

قفز هايدس قفزة أوصلته إلى أرض الرواق، يجثو على ركبته اليسرى، يمسك بعصاه ذات القرنين المنغرسة في الأرض الصخرية، عظامه ما زالت لا يكسوها شيء، وجهه مطرق للأسفل.. متآكل مشوه، بدأ في الاعتدال والوقوف مرة ثانية على قدميه، يلتئم جسده ويعود رداؤه كالسابق.. وكأنه لم يمسسه أذى ولم تشوبه شائبة.

فتح هايدس ذراعيه، صرخ عاليا، تشتعل عيناه، أحمر لونها بلون الدم، صياحه يصنع من الهواء الخانق، أعاصير مخيفة تستطيع اقتلاع غابة من الأشجار الضخمة، يتهدج صوته الذي تعالى في هول..

. باف.. أوم.. أيت.

***

القطعة المعدنية على خصر أسترو بالخارج، لا يدري ماذا يفعل بها، إن عادت لهايدس، ستكون النهاية، لن يستطيع افتكاكها من مخالبه مرة أخرى..

أما أمر إعلان الفوز المبكر.. والانسحاب بالجيش متراجعًا نحو الجزيرة حيث يضع القطعة المعدنية مرة أخرى في المعبد المقدس.. سيكلفه الكثير..

ستلاحقه وحوش هايدس ولن يفلت جيشه منهم حتى يبيدوهم عن بكرة أبيهم.

لذا يجب الإبقاء على تركيز رجاله وعدم دفعهم إلى التفكير في التراخي أو الانسحاب.. ما زال الرجال يبلون بلاء حسنًا بصحبة ثورجن الذي يتألق في سماء المعركة ويقطع وحوش هايدس إربًا إرباً، جائع منذ عقود لهذا اليوم، يوم الأخذ بالثأر، ورد الأذى بمثله، يروي ظمأ انتقامه بدمائهم السوداء.

أطلق النجم صافرته..

التفت ثورجن المنهمك في القتال إلى الصافرة، ألقي برقبة الوحش الذي أقتلعها بعيداً، وحلق نحو بوابة تارتاروس حيث ينتظره أسترو، اقترب من أسترو ليمتطيه، صعد أسترو وهو يحجل على قدمه، يأن من الآلام، يمسك برقبة ثورجن، يشعر بدفء جسده، ينهل من طاقته بيديه، طاقة الجادوكاي تتسرب إلى أسترو، الطاقة التي أعادت روحه للحياة يوما، تُجبر كسر عظامه، وتلئم الجروح، القلادة تتوهج، إنها الرابط بينهم ومفتاح الجادوكاي.. ظلت تتوهج حتى انطفأت بانطفاء الطاقة المنبثقة من ثورجن عند اكتمال شفاء أسترو.

تتوهج عينا ثورجن بعدما أغمضهم أثناء تدفق قوى الجادوكاي إلى أسترو، عائدًا بأسترو إلى قلب المعركة، يصرعون الوحوش سويا، انتظارًا للحظة التي يقرر فيها أسترو الانتهاء.

لحظة النصر، وتقهقر هؤلاء الملاعين إلى جحورهم.

اهتزت الأرض أسفل أرجل جنادل أسترو الشجعان ووحوش هايدس الملاعين، سُمعت أصوات تتردد في سماء المعركة، أصوات مجهولة المصدر، أزعجت جميع من هم في قلب القتال، ثورجن يحاول الصمود، يترنح في السماء.

وأسترو يحتمي بثورجن، يضغط برأسه على كسوة ثورجن الحديدية، يتيقن أن المعركة لم تنتهي بعد..

وإنما بدأت!

ارتعد الجميع وصموا أذانهم تاركين أسلحتهم، يغمضون الأعين..

لا يقوى أحد على الاستماع لهذا الصوت الشرير المخيف..

(صوت البافوميت).

28

البافوميت

انقشع غسق الفجر وبدأ صباح يوم جديد، لا يبدو على شمسه أنها ستشرق..

حيث اهتز جبل تارتاروس من الخارج، سقطت الصخور من جميع أرجائه، وامتلأت الأجواء غبارا.. غشي على البصر، وخنق الصدور.

خارجًا من الداخل..

قرنان كبيران لوحش هائل الضخامة، له وجه ماعز وذقن سوداء مضفرة بالنحاس.. له جناحان عظيمان يشقان منتصف ظهره ويملآن الفراغ من حولهما.. ذيله طويل سميك كذيل سبينوصور، الأمر الذي أدهش أسترو..

.الآن علمت من أين أخذت الديناصورات جيناتها اللعينة.

استكمل أسترو التحديق في هيئة هذا المخلوق الرهيب، يحاول أن يجد نقطة ضعف له.. ولكن بأي حال!

وهو يبلغ غاية التوحش والعنفوان في كل قسماته!

تصل ضفيرته إلى أثدائه الأنثوية، يداه متضادتان، أحداهم لرجل والأخرى لامرأة، ومتطابقان في توحشهم ومخالبهم، ساقاه طويلتان كثيفي الشعر الأسود.. ينتهيان بحوافر مسننة.. تشق ما تطأه، على

جهته نجمة خماسية هي ما ينبعث منها هذا الضجيج الذي يعج به الأرجاء.. هايدس يقف فوق رأسه بين قرنيه.. يثبت أقدامه بينهم.. تحيط به سحابة سوداء زادت من توحشه وهيبته.

انتابت القشعريرة أسترو الذي لم يتأهب للقاء هذا المخلوق المرعب الذي شق الجبل.. يطلب روحه ويريد التنكيل به.

يخطو بجسده الهائل وحوافره المسننة التي تشق الأرض، يهرب الرجال وجلا، يتخبطون خائفين أن يطولهم الموت.

زأر ثورجن ونشب مخالبه في الأرض.. يحفرها حفرًا وينبعث من أثر ثورته الغبار الذي أحاطه، يتحدى البافوميت علانية.

حلق ثورجن.. وصاح أسترو في الرجال.. يحثهم على الثبات وعدم الخوف، والتمسك بأسلحتهم والاستبسال في القتال..

أذعن الرجال وعادوا إلى رشدهم عندما رأوا ثورجن يحلق بأسترو نحو هذا المخلوق الخرافي.. يتفادى ثورجن الصخور المترامية عليه، يحلق ببراعة، يتحدى بها قوى البافوميت.

لكن هذه البراعة لن تدوم طويلاً، فكر أسترو في هذا.. يقلب النظر في كل بقعة حوله.

. يجب علينا إلهائه يا ثورجن، لو بقي هنا سينهي علينا جميعًا ولن يصمد الرجال.

طاف بنظره كثيرا، وثورجن يحلق حول البافوميت، يحاول إبعاد قبضته عن الرجال، حتى وجد أسترو ما يصبو إليه..

المياه!

اقترب ثورجن ناحية هذا المخلوق الشيطاني، وسكب لهبه الحارق الخارج من جوفه في ضراوة، جعلت البافوميت يحتمي بيديه من أذى لهيب ثورجن، اشتعلت يداه والتهبت.. لوح بيديه المشتعلة يحاول إصابة ثورجن الذي فر هاربا، زفر المخلوق في النيران المتأججة فانطفأت وتبع خطى ثورجن، يريد أن يرد له الصاع صاعين، بل وتمزيقه إلى نصفين بمخالبه، ويطأه بحوافره حتى تتطاير أحشاؤه.

يهربان ناظرين إلى الخلف نحو المخلوق الذي سعى في طلبهم وهو جاد في نواياه القاتلة..

يتلوى ثورجن في الهواء ويتلوى عقل يامن..

يحادث ثورجن عله يخبره بطريقة تخلصهم من هذا الذميم..

. إن أمسك بنا هذا اللعين سنكون مجرد ذكرى يا ثورجن، أُفضل أن أنهي حياتي بنفسي على أن تؤخذ مني بقبضة هذا الشرير.

يطيح المخلوق العملاق بكل ما هو أمامه ويعوقه في الوصول إلى ممتطي التنين، يركل السفن بحوافره فتتطاير ويقذفها نحو ثورجن، الذي يعود لينفث لهيبه ولكن دون أن تتمكن نيرانه من البافوميت، يستشيط البافوميت غضبا، يحمل نفسه وفوقه هايدس الصامت الغائص في أعماق مخلوقه السفلي.

يغوص البافوميت بحوافره في المياه، يسبقه ثورجن الذي يحلق على وجه المياه ويلامس الأمواج بمخالبه، أغرقت المياه المخلوق حتى منتصفه.

استدار المخلوق عائدًا بعدما أيقن أنه لا جدوى من الفرار وراء هذا التنين..

سيجبره على العودة دون تردد!

وجه البافوميت العملاق أنظاره نحو اليابسة، حيث جنادل أسترو، يبدون كالنمل الذين يتسابقون حول بعضهم.

تلبدت السماء بالسحب الكثيفة، التي حجبت نور الشمس ومنعته من التسلل ومنح بعض الدفء لدماء جنادل أسترو، وخرجت الجوارح من العقاب والنسور والصقور والغربان وغيرها من كواسر الطير، تحوم أسفل السحب الملبدة بالغيوم لاصطياد ولائمهم من مخلفات الحرب.

كأنهم يعلمون أن البافوميت سيقضي على الجميع، وستخلف مخالبه وحوافره وليمة دسمة وراءها، ترضي بطون طير السماء.

فشل أسترو في مسعاه، خطته كانت تفتقر إلى مصداقيتها في النجاح، مجرد اكتساب بعض الوقت لإبعاد هذا اللعين عن رجاله.

لكن أي شيء قد يستطيع فعله أمام هذا البافوميت الطاغية العملاق!

أداة قتل فتاكة دون منازع..

وضع يديه خلف رأسه لتتخلل شعره الكثيف، جثا على ركبتيه فوق ظهر ثورجن، يترقرق الدمع من أجفانه وهو يرى هذا الوحش الكاسر يمسك الرجال من أسفل أرجلهم كالجرذان الهاربة..

يطوح بأجسادهم ويبعثرها في كل حدب وصوب..

تصطدم الجثث الممزقة بصخور الجبل، يسقطون قتلى وضحايا لهذا المخلوق الغاشم والبعض يلقى في النيران المشتعلة بساحة المعركة وغيرهم تسجى أجسادهم على أسنان الرماح فتنغرس في صدورهم.

الرجال يلقون حتفهم في أبشع صور الموت التي يمكن لأحد أن يراه، ولكن الشجعان هم من يثبتون ويرون بصيص الأمل الذي يتوارى وحتمًا سيظهر.

اندفع أسترو ومعه ثورجن نحو ساحة المعركة مرة أخرى..

لكن هذه المرة الاندفاع كان دون هوادة، ينفث ثورجن لهبه في قسوة، تمتلئ عينه بدماء جحافل هايدس..

لا يهابون البافوميت أو هايدس الذي يتغلغل في أعماقه، إنما يريدون الموت في شجاعة مع باقي الرجال.

سمع أسترو صوتًا يناديه من أسفل قلب المعركة..

. أيها الأسترو..

التفت أسترو للمصدر المنبعث منه هذا الصوت..

صوت عذب مريح للأذن وسط صهيب المعركة، المنادي ينزع خوذته..

إنها هي، تبدو كمحاربة من الطراز الفريد، تبدي ثباتًا وعزمًا ضد أعنف الأعداء، يتناثر شعرها الذهبي على سترتها الحديدية.

نظرت نحوه بعينيها الساحرتين، تنبعث منهما حرارة المعركة الدائرة حولها، تتوسله بنظراتها أن يكون حذرًا من أجلها.

رفعت بقدمها رمحا موجودا بأسفلها، والتقطته بيدها في خفة ومرونة ثم قذفت الرمح بكل قوة..

التقطه أسترو هو الآخر بكل رشاقة وارتسمت على شفتيه ابتسامة هادئة واثقة وكأنهما يتغازلان بهذه الأداة القاتلة.

يتلاقفها بين يديه ويتساءل..

. ماذا بإمكان هذه العصا الحديدية المسننة أن تسوي!.. أمام قاتل عتي.

جن أسترو، وطاف بصره ما بين الرمح والبافوميت.. يعقد العزم على الانقضاض على المخلوق الهائج الذي يصرع الرجال أسفل حوافره.

. لا سبيل آخر، سأقاتله لأخر قطرة في دمي.

يقترب منه في عجالة يخالطها الوجل ويعقبها الندم المحتوم، يتصبب عرقاً..

يتساءل عما ينبغي أن يفعله..

أنه يقترب نحو البافوميت، يرى الهاوية في عينيه، وأسراب الظلام تغمرهم، يرى انعكاس صورته فيهم..

قبل أن..

يدوي صوت في السماء..

التفت البافوميت إلى الصوت الذي بدأ في جلب الصخب.. يظهر البرق وسط الغيوم يلهب بسوطه ظهور جحافل هايدس ويدوي هزيم الرعد في قلوب من هم بالمعركة، فيهلل جنادل أسترو، وتتقرقع جحافل هايدس، خائفين مذعورين، بعد ما كانت مخالبهم تقطر دماء الأبرياء الشجعان.

تغاضي الوحش عن الالتفات إلى السماء وعاد بنظره نحو أسترو الذي صار على مقربة منه، والبافوميت يحاول إمساكه وإحكام قبضته

عليه، حتى يعتصر جسده البالي بكفه الضخم، كفه الذي خضبته دماء رجال أسترو.

يناوشه في حذر شديد وبراعة.. يتخيل هذا المنظر البشع الذي ستؤول إليه حالته إذا استطاع هذا الكاسر التمكن منه والاستحواذ عليه.

في اللحظة التي تواردت عليه الأفكار، اتخذ أسترو أصعب قرار واجهه..

الاصطدام بكل ما أوتي من قوي مع البافوميت، ليس هناك قوى فيزيقية تبرهن على صواب هذا القرار..

وإن برهنت..

ستؤكد الجنون الذي طال من صاحبه.

29

النقوش تكتمل

قفز أسترو تجاه البافوميت بكل ما أوتي من قوة وعزم، يتجه صوبه في نهم، يتبع قفزته، سهم يطير خلفه بسرعة خارقة.

اصطدم أسترو، واصطدم السهم أيضًا في نفس اللحظة.

لقد كان زيوس ملك الآلهة، اصطدم بهايدس الذي سقط!

لم يسقط هايدس بمفرده بل تهاوى البافوميت اللعين كما تتهاوى شجرة عملاقة ذابلة تسكن أغصانها طيور البوم، وتسكنها الأرواح الشريرة ويخاف الناس من الاقتراب منها، أذاها يرعب الجميع ويقتل الأبرياء الذين لا يعلمون ماهيتها.

في اللحظة التي اصطدم بها زيوس، نشب أسترو رمحه في جبهة البافوميت، رمحه الذي تأجج بالنور والنار عندما دمج أسترو القطعة المعدنية التي لفها حول خصره قبل أن يفتك على هذا العملاق.

جبهته التي تتوسطها النجمة الخماسية ولا يشوبها أي شعر مثل وجهه وجسده القبيح.. صلعاء ملساء، لقد كانت نقطة ضعفه التي نال منه أسترو بواسطتها وبمساعدة قطعة بوسايدون المعدنية.

لقد كانت هناك دومًا نقطة ضعف في جسده الخبيث ولكن عنفوانه وقسوته كانت ساترًا لها.

سقط هايدس بعد الضربات المتتالية التي طالته من صاعقة زيوس في الهواء قبل أن يستقر كلاهما في جوف هوة تعمقت بداخلها أجسادهما بعد الارتطام الشديد.

زيوس يقبض على هايدس، وأسترو مسجي على جسد البافوميت الذي نشب فيه رمحه.

سقط جميع من اصطدموا، وطرحوا أرضا..

اندثرت جميع القوي الشريرة وجحافل هايدس وعادت حيث تنتمي بمجرد مقتل البافوميت وسقوط هايدس..

يبتلع العالم السفلي أرواحهم التي تجذب أجسادهم للداخل.

هدأ غبار المعركة وتلقف الجميع أنفاسهم المتهدجة وانقشعت الغيوم التي غمرت السماء..

وأعلن النصر بإشراق الشمس.

كبل زيوس هايدس بالأغلال المضيئة وقفز به خارج الهوة التي أخفتهم عن الأنظار.

لاح بوسايدن لزيوس، يحمل شخصا ما فاقدا للوعي.. اقترب بوسايدن نحوه، يتساءل زيوس بنظراته التي قطعها بوسايدن بحديثه الذي ملأه الشجن الذي لا يليق بإله البحار.

. زلت قدماها وسقطت، كاد أن يدهسها هذا البافوميت اللعين لولا انتشالي لها من أسفله.

رمقه زيوس بنظرة حادة..

. لقد قضي الأمر.

تشبث كلاهما بذراعي هايدس المقيدتين، وقفزا نحو السماء حتى تكفلت هذه القفزة باختفائهم في لمح البصر.

عائدين نحو الأوليمب حيث ستقام محاكمة، المدان فيها هايدس لارتكابه جرائم شنيعة وإطلاق البافوميت.

انتفض أسترو في فزع، يحاول إدراك سلاح، يخال له أن المعركة ما زالت قائمة..

ينهض على قدميه، لا أثر لهايدس أو جحافله، وجسد البافوميت المسجي يتطاير منه الرماد.

ركل أسترو بقايا جسد البافوميت التي ما زالت لم تختف..

. اللعين يتحلل.

ثم بصق عليه وأدار ظهره للهشيم المتناثر.. النقوش ترتسم على جسده وقد اكتملت بانتهاء المعركة وإحراز الانتصار.

نقشت صورة البافوميت الساقط وبجانبه عبارة

"الويل لكل جبار عنيد، يستحل دماء الأبرياء دون وجه حق، والسماء مكافئة من يزيحه جانبًا ويعيد الحق المسلوب"

نظر أسترو إلى السماء الذي انفتحت له.

السماء تناديه لقد انتهى ما قد جاء لأجله.. تحتفي به وبالعمل الجليل الذي ستتناقله الأجيال، أجيال دريك تاون.. الذين ينعمون في الرفاهية التي دفعوا الثمن الباهظ إزاءها، سيخلدون ذكراه ويتبعون خطاه..

خطى الأسترو هذا النجم الساطع الذي أضاء عتمة دريك تاون وسينقش اسمه على جدران المعبد المقدس وبجانبه قصته، سيراه

الجميع يضيء السماء في الأيام التي يُفتقد بها البدر وتنطفئ بها المشاعل، أسترو المحارب العظيم الذي سقط من السماء وعاد إليها قبل أن تغضب عليه وتلومه على توانيه في تحقيق العدالة.

يهيم على وجهه يبحث عن ثورجن ويطلق صافراته المتكررة..

ثورجن لم يأت.. ثورجن لم يلب النداء.. ثورجن فُقد!

وجد أريانا ويلتف من حولها كاسبيان الذي غطته بعض الجروح.. بعضها غائر فقام بقطع جزء من ملابسه وتضميدها وأخرى سطحية، يطوق أريانا بين ذراعيه ينتحب.

جثا أسترو على ركبتيه وجذب أريانا نحو أحضانه، يبكيها جهرًا ويلوم قلبه الذي أحبها.

. لقد تركتني قبل أن أتركها، يا لي من بائس.

يحاول كاسبيان الذي يجفف دمعه أن يهون عليه، ويشير إليه نحو السماء التي يضيق اتساعها.

. يجب أن تذهب الآن.

جذب كاسبيان أريانا من بين ذراعي أسترو وأبعده عنها.

صوت سعال شديد انبثق من رئتين لأنثى جميلة محاربة.

أزاح أسترو كاسبيان وقبل أريانا بنهم شديد.. قلبه يرقص فرحا، ما زالت محبوبته على قيد الحياة.

حتى كف عن تقبيله ونظر نظرة ثاقبة إلى عينيها وهو يمسك بوجهها

. حقاً.. هل علي أن أتركك، أنه لأمر شاق بالنسبة لي، سوف آتى إلى هنا لاصطحبك يوما ما.. أعدك بهذا.

قبل أن يطلق صافرته ويقبلها القبلة الأخيرة، قبل أن يحط ثورجن بجسده بجانبهم.

صعد أسترو مسرعًا على ظهر ثورجن، الذي يطوي أجنحته ويمدها في ألم، ذيل البافوميت قد طاله بضربة دامية، قرقعت عظامه الصلبة العظيمة، عيناه ينطفئ توهجهم، يعبر بصديقه إلى بر الأمان.

جناحاه يتهاويان وجسده الذي ينزف يتساقط.

أسترو يصيح وقلبه ينتحب..

. ثورجن... ثورجن.. ثورجن

روحه ما زالت تدب بها الحياة، تناجي أباه ديلف

. أبتاه، لقد نلت من ممزق شملنا، وأخذت بثأر عائلتنا وشعبنا، وداهمت الهزيمة التي لاحقتنا، جسدي يعود لسابقه، ابنك ثورجن يعود إلى هيئته السابقة، يسقط جسدي من السماء، تطفئ المياه لهيب روحي التي أشعلتها منذ زمن لكي تستريح أجسادنا في سلام، لقد تحقق ما أردنا، والآن تؤخذ روحي بجانبكم، جانب عائلتي التي حُرمت منها.

30

أربعة وعشرون ساعة

سامي يجلس بمنزله أمام التلفاز على أريكة لم تبارحها جسده حتى التصق بها، يحتسي قهوته في قلق، فنجان ضمن الفناجين الكثيرة التي تتراص على منضدة صغيرة أمامه، يتابع الأخبار العالمية ويتنقل من قناة لأخرى، عله يعلم شيئا عن صديقه الذي فُقد..

زوجته أتت إليه ببعض الطعام، الذي أحجم عن تناوله.

تعنفه في لين وأسى

. أسترح قليلًا أو تناول بعض الطعام، ستقتل نفسك هكذا يا سامي.

يرد في ضيق والدمع يؤرقه

. أنا لا أستوعب ما قد حدث ليامن يا حبيبتي.

يرتمي بين أحضانها، وتخفف عنه الحزن الذي يطوله.

تدق ساعة الحائط لتعلن عن الوصول إلى منتصف الليل.. صوت النشرة الإخبارية يدب صداها في عقل سامي، يعتدل في جلسته ويمسك بالريموت يرفع من صوت التلفاز.. يتابع ما قد يقال في ترقب شديد من هذا المذيع الأجنبي الوسيم.

. نبأ عاجل..

كشفت السلطات الفيدرالية عن فقدان السفينة العالمية المشهورة جراند شيب، لم يستدلوا على آخر موقع لها بسبب موجة الأعاصير المتداعية..

قطب سامي حاجبيه في حزن، قبل أن يستطرد المذيع بلكنته الأجنبية

. ولكن مع استمرار البحث وجهود الإنقاذ تم التوصل إلى جثة، تبدو هي التي نجت من الإعصار، تقاذفتها الأمواج وشوهدت على سواحل بورتوريكو بعد أربعة وعشرين ساعة من انتهاء موجة الإعصار، حيث تم التحقق من هويتها ويدعي أنها لبحار مصري يدعي يامن القاضي وهو الآن تحت الملاحظة لحين تحسن أحواله الصحية.

قبل أن يستكمل المذيع كلماته، صاح سامي واحتضن زوجته وقبل شاشة التلفاز التي ظهرت عليها صورة صديقه.

***

تحسنت الأحوال الصحية ليامن، وعاد إلى منزله الدافئ وحياته التي يعرفها جيدًا ويجيد التعامل معها، يخفي ما خاضه وكأنه حلم سريع قد زال، سر سيبقي معه إلى الأبد، كشفته له الطبيعة التي نجهل أسرارها.

حتى عاودته الأحلام مرة أخرى،،

***

هايدس في جوف هوة مظلمة، مجرد من قواه، ومكبل بالأغلال، يسقط ضوء القمر على وجهه الغاضب من ثقوب الهوة، يتوعد يامن بالانتقام منه ومن عالمه..

يستيقظ يامن على همهمات هايدس وكلماته المرعبة.

. أنا هايدس العظيم ولوسيفير وبلعال والملاك الساقط، أنا الذي تعددت مسمياتي ولكن هدفي لا يحده مسمى، سأنال منك مهما حييت، معاركي لا تنتهي ولن تتوقع طرقها التي أجيدها.

تمت بحمد الله..